المصاهرات السياسية بالمغرب الإسلامي
خلال عصري الموحدين وورثتهم

د/ صلاح أحمد عيد خليفة
أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة المنيا

المقدمة

الحمد لله خلق الإنسان من طين ونفخ فيه من روحه وخلق منه زوجه وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ليتزاوجوا ويتناسلوا ويكونوا شعوباً وقبائل تتعارف فيما بينها ويكونوا انساباً وأصهاراً وصلاة وسلاماً على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حض المسلمين على التزاوج والتناسل بل والتكاثر لتحقيق عبودية الله من خلال زيجات تبنى على أسس سليمة وقواعد متينة أساسها الإيمان ولحمتها التقوى وسدتها مراعاة شرع الله هادفة لصلاح الإنسان في دينه ودنياه محذراً من التخطي بالزواج لطلب الدنيا من مال أو جمال أو حسب أو نسب ومن هجرة الإنسان إلى دنيا يصيبها أو أمرأة ينكحها وإنما حث المسلم على أن يكون نكاحه لله ليكون نافعاً له في دنياه وآخراه ، وعلى هذا سار المؤمنون وتعدى ذلك بعض المسلمين واضعين للزواج أهدافاً أخرى عملوا على تحقيقها وهم أهل السياسة والرياسة والمناصب والجاه ليحققوا من ورائها أهدافاً سياسية مقلدين في ذلك من قبلهم ، طلباً للتصالح مع الجيران وحفاظاً على حدود دولهم أو حتى طمعاً في توسيع حدودها على حساب جيرانهم وما إلى ذلك من أهداف ابتغوا تحقيقها من وراء دبلوماسية المصاهرات -بلغة أهل السياسة - والتي شاعت في كل العصور الإسلامية حتى صارت ظاهرة في المشرق والمغرب على حد

سواء تحتاج إلى الرصد والتدوين بل والتحليل والاستنتاج وهو ما أحاوله في هذه الورقات، ولكن في بقعة واحدة من عالم الإسلام وهي المغرب وخلال عصرين هما عصري الموحدين وورثتهم، إذ برزت فيهما ظاهرة المصاهرات التي تمت بين رجال السياسة واستغلت لتحقيق أهداف سياسية أوتلك التي كانت سياسية محضة، في مظهرها وجوهرها وضحت أهدافها قبل أن تتم وبعد أن تمت وفي استمرارها أو حتى انقطاعها أو فشلها محاولاً خلال هذا الرصد تقييم مدى نجاح هذه المصاهرات من فشلها، ومعيارنا هنا لم يكن نجاح المصاهرات اجتماعياً ودوام الزيجة والتناسل بل كان المعيار هو نفس الأهداف المرجوة من وراء هذه المصاهرات وهي الأهداف السياسية هل تحققت هذه الأهداف أم لا؟ جاعلاً تحقيق هذه الأهداف من عدمه نتائج لهذا البحث.

والله من وراء القصد

الباحث

التمهـــيد

شرع الله تبارك وتعالى الزواج وجعل فيه للإنسان نسباً وصهراً وجعله سبحانه وتعالى الطريق الطيب لتحقيق أهداف سامية لبنى البشر وقبل الأهداف حدد لنا سبحانه قواعده وحدوده من أجل إقامة مصاهرات سليمة البنيان قوية الأركان يستطيع الإنسان من خلالها تحقيق الهدف من خلافته في الأرض التي هي العبادة تلك الفريضة التي لا يمكن أن تؤدى إلا إذا تحققت الأهداف من تزاوج البشر ومصاهراتهم، فلا يمكن أن تقوم تلك الخلافة إلا إذا كان هناك نسل وذرية يتم التعارف بينهم والتصاهر ليستمر هذا النسل الذي يحقق العبودية لله، ولن تتحقق العبودية لله إلا إذا شاع بين البشر المودة والرحمة اللتان لا تتأتيان إلا عن طريق المصاهرة الذي جعل فيها الله تبارك وتعالي المودة والرحمة بين الزوجين وصولاً بهما إلى المجتمعات الكبيرة المتعارفة بالمصاهرة والزواج، ولن تتحقق عبودية الله تعالي في الأرض إلا بإقامة علاقة الزواج والمصاهرة والتي ينتج عنها الشعور بالرضا والراحة النفسية والجسدية المفضية إلى تحقيق الاستقرار للإنسان والأسرة والمجتمع وشيوع السلام الاجتماعى بل والتكامل البشرى على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية، وذلك لما تكتسبه هذه المجتمعات من علاقات وروابط مقدسة ممثلة في التزاوج والمصاهرة تحافظ على النوع الإنساني بطرق شرعية من شأنها أن تحفظ على المتصاهرين علاقات التعايش السلمي والتكافل الاقتصادي والتزواج الثقافي،إذ لا تؤدي الطرق غير شرعية والسلوكيات المنحرفة إلا إلى انقطاع النوع الإنساني أو اختلاط الأنساب والدماء أو فوضوية لا تؤدى في النهاية إلا إلى شيوع الأمراض وفساد النسل وهلاك البشرية.

وقد تحققت العبودية لله في المجتمعات البشرية التي حرصت على تطبيق شرائعه منذ آدم وحتى اليوم وانقرضت أقوام وبادت أمم لما حادت عن شرع الله في ذلك. وحرص مؤمنوالناس في تحقيق شرع الله وتحقيق عبوديته كان أشد وأقوم ، حرصاً على تحقيق مراد الله من الزواج والمصاهرة سائرين في ذلك على ما قضى الله ورسله وأشد ما كان الناس حرصاً على ذلك في المجتمع الإسلامي بعد بعثة النبي محمد (ﷺ) الذين استناروا في ذلك بكتاب الله الكريم وسنة نبيهم محمد (ﷺ) اللذين لم يتركا لهم كبيرة ولا صغيرة في هذا الشأن إلا أوضحاها، بداية من التفكير فيه ــ أي الزواج ــ ونهاية بتحقيق أهدافه في الدنيا والآخرة، إلا أن ساسة العالم الإسلامي ــ كما هم ساسة العالم القديم أو حتى الحديث ــ خطوا بالزواج والمصاهرة خطوات أخرى لتحقيق مآرب شخصية وأهداف دنيوية سعوا سعياً حثيثاً من أجل تحقيقها وأرتأوا أنها لن تتم إلا عن طريق المصاهرات وعلى رأس هذه الأهداف المحافظة على العروش والدول وإبقائها في ذريتهم والحفاظ على الإستقرارالداخلي أو حتى من أجل التوسع الخارجي ومن هنا ظهر ما يعرف بالزواج السياسي أو المصاهرة السياسية، كإحدى الطرق الدبلوماسية لتحقيق هذه الأهداف وهو ما لاحظناه جيداً في تاريخ المغرب وبالذات في عصر الموحدين وورثتهم بالمغرب وذلك لظروف كثيرة ومتداخله ستتضح من خلال رصدنا لهذه الظاهرة ولكن رأينا من الأفضل أن أمهد لتلك الفترة التاريخية التي برزت فيها هذه الظاهرة بما تم من مصاهرات فيما قبلها من تاريخ المغرب بإيجاز حتى تكتمل الصورة.

أولا:المصاهرات السياسية في المغرب قبل عصر الموحدين

إن الحياة السياسية المضطربة في المغرب منذ افتتاحه مروراً بعصر الولاة الأمويين ثم العباسيين ثم قيام العديد من الدول المستقلة واختلاف هذه الدول سياسياً وعقائدياً أدى إلى المنافسة بل والصراع السياسي وسوء الجوار والحذرمن الآخر خوفاً على الحوزة وأراضي الدولة بل على العرش نفسه من أولئك الأعداء المتربصين، كل هذا دفع حكام تلك الدول وساستها إلى إيجاد سبل أخرى ووسائل غير الحروب والصراع العسكري أو حتى السلمي من خلال الجاسوسية واستقطاب كل منهم لرجال منافسيهم المقربين بالمال أو الوعد بعلو المكانة والمنزلة، ليعززوا سلطتهم ويأمنوا جيرانهم، فكان التفكير في عقد أواصر الصداقة وبناء جسور الثقة المتبادلة بينهم وبين رجال دولتهم وبينهم وبين حكام الدول الأخرى المجاورة في سبيل الاستقرار الداخلي والتعايش السلمي مع الجيران، ورأوا أن كل ذلك لن يتحقق إلا عن طريق المصاهرات التي لم يبتغوا من ورائها كما هو واضح وبين إلا تحقيق أهدافاً سياسية صرفة ولذا حق لنا أن نسميها مصاهرات سياسية.

وقد حفظت لنا المصادر من فترة ما قبل الموحدين بالمغرب بعض الأمثلة التي أوضحت لنا هذا المنحنى في سياسة ملوك هذه الدول ولنبدأ بأئمة الدولة الرستمية (١٦٢ – ٢٩٦ هـ / ٧٧٨ – ٩٠٨م) فيروي عن أول الأئمة وهو عبد الرحمن بن رستم (١٦٢ – ١٧١ هـ / ٧٧٨ – ٧٨٧م) أنه أصهر إلى اليسع بن مدرار (١٧٠ – ٢٠٢هـ / ٧٨٦ – ٨٢٣م) زعيم الصفرية وسجلماسة والمؤسس الحقيقي للدولة المدرارية إذ

زوج ابنته أروي من ابن اليسع المسمى مدرار [1] وما كان ذلك ليتم في إطار الخلاف السياسي والمذهبي بين الدولتين وإنما تم في الإطار السياسي ليدل على حسن سياسة هذا الرجل وبراعة تصرفه يقول البارونى[2] "ولولا حكم القدر بهذه المصاهرة مع قرب الجوار لكانت الحروب بينهم متوالية والفتن متتالية حيث يطلب كل فريق منهم الانضمام إلى إمام مذهبه ويظهر التظلم حقاً أو باطلاً من مخالفة في المذهب الحاكم عليه وهذا أمر طالما سفكت به الدماء أنهاراً"، إذ تم له من خلال هذه المصاهرة المحافظة على حدود دولته الجنوبية ودعم بها حسن علاقة الجوار وأمن على طرق دولته التجارية تجاه الجنوب وبلاد السودان.

وفي عهد خليفته وابنه عبد الوهاب (١٧١-٢١١هـ / ٧٨٧-٨٢٦م) وفي ظل إقرار الأمن الداخلي والبعد عن الانقسامات والفتن

---

(١) عن هذه الزيجة راجع ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، تحقيق ج.س كولان وأ. ليفي بروفنسال دار الثقافة، بيروت سنة ١٩٨٣م، ط٣، ص١٥٧. عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمي كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. م٦، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٢م، ط١، ص١٥٥، راجع كذلك الشيخ عبد الله البارونى: كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ق٢، مطبعة الأزهار البارونية، بدون، ص٩٤، د/ محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس ١٦٠ ــ ١٩٦هـ الكويت، سنة ١٩٨٧م، ط٣، ص١٠٦، محمد عبد القادر الخطيب: دويلة بنى مدرار ١٤٠-٢٩٦هـ/ ٧٥٧-٩٠٨م. القاهرة، سنة ١٩٨٩م، ط١، ص٢٨، ٤٠ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، القاهرة، سنة ١٩٨٦، ط٢.

(٢) المرجع السابق، ص٩٤.

الداخلية في عهده يتقرب بالمصاهرة إلى لواته لضرب تحالفه ومصاهرتها مع قبيلة هوارة، أويذكر محاولات هاتين القبيلتين الاتحاد ضد الإمام عبد الوهاب عن طريق المصاهرة بينهما إذ كان لهوارة بالقرب من تاهرت رؤساء مقدمون يعرفون ببني مسالة ويقال لهم الأوس، فخطب مقدم الأوس لنفسه أوعلى ابنه إحدى بنات لواته وكانت جميلة فأجابوه على تلك المصاهرة[١] ولكن بعض من يناوئ هؤلاء الأوس دخل على الإمام عبد الوهاب ساعياً لإفشال تلك المصاهرة فحذراً الإمام من مغبة حدوثها قائلاً: "إن فلاناً خطب على نفسه أو على ابنه، ابنة فلان وقد علمت مكانه من قومه ومقامه عند الخاص والعام وأنا لا آمن أن يزوجه ابنته فإذا زوجه إياها وقعت المصاهرة وإذا وقعت المصاهرة صارت نسبة وإذا انضمت قبيلة إلى قبيلة ناوآك في البلد ولكن أخطب إلى هذا الرجل إلى نفسك أو إلى ابنك أو على من سوف يؤثرك عليه لسلطانك"[٢]. عندئذ أسرع الإمام فاستدعى الرجل وخطب إليه فزوجه إياها، الأمر الذي أغضب زعيم الأوس وأثار ثائرة الحرب بين هوارة ولواته ومن إليها[٣] وتجنب عبد الوهاب بن رستم هذا التحالف ضده بتلك المصاهرة السياسية واستطاع التغلب على ثورة هوارة بعد ذلك[٤].

---

(١) ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، دراسة وعرض دكتور/ حسن على حسن، القاهرة، سنة ١٩٨٤م، ص٢٦٠.

(٢) ابن الصغير: المصدر السابق، ص٢٦٠-٢٦١، البارواني: المرجع السابق، ص١٣٣.

(٣) ابن الصغير: المصدر السابق، ص٢٦١، البارواني: المرجع السابق.

(٤) راجع التفاصيل البارواني: المرجع السابق، ص١٣٣، وما بعدها.

ولشد عري الإخلاص للمقربين ورجال الدولة أصهر الإمام أبو بكر بن أفلح (٢٤٠-٢٤١هـ/٨٥٤- ٨٥٥م) إلى رجله الأول في الدولة وهو محمد بن عرفة إذ كان له أخت ذات حسن وجمال فخطبها أبو بكر ثم تزوجها في ذات الوقت الذي تزوج فيه محمد بن عرفة من أخت الإمام فأخلص هذا الرجل للإمام فترة ثم دخله الإعجاب وسما إلى التحكم والإستبداد[١] وأظهر مظاهر التملك وارتفع على إمامه حتى قيل أنه كان يمشي وبين يديه ومن خلفه ومن أمامه أمم من الأتباع مستغلاً في ذلك مكانة المصاهرة وارتفاع منزلة أخته وزواجه بالرستمية، مما أوغر صدر الإمام عليه فاستمع فيه للوشاة وأوقع بصهره[٢] وتخلص من صهره خشية ضياع سلطانه الذي ما صاهر إلا للمحافظة عليه.

وإذا انتقلنا إلى دولة الأدارسة (١٧٢- ٣٧٥هـ/ ٧٨٨- ٩٨٥م) نجد أن المصاهرة السياسية لعبت دوراً فاعلاً في تاريخ هذه الدولة منذ نشأتها إذ لما أتى إدريس بن عبد الله الحسنى فاراً من المشرق ووضع رجاله عند قبيلة أوربة بمدينة وليلي وعرف نسبه وأشيع غرضه وهدفه في إقامة ملك ودولة واجتمع حوله بربر المنطقة سعي للقرب منهم أكثر وتوثيق علاقته بهم فأصهر إليهم وتزوج جارية من البربر تدعى كنزة

(١) حتى قيل أن الامارة بالاسم كانت لأبي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفه، راجع: ابن الصغير: المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٢) راجع التفاصيل ابن الصغير: المصدر السابق، ص٢٧٦، وما بعدها، الباروني: الأزهار الرياضية، ق٢، ص٢٢٦-٢٣٠.

والتي اختلفت في نسبها[١] فقيل أنها من قبيلة نفزة البربرية وقيل أنها بنت إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي شيخ قبيلة أوربة وقال آخرون إنها فقط من تليد البربر، في كل الأحوال الثابت نسبها من البربر المحالفين لهذا الرجل وقد تزوجها حسبما حدد بعض المؤرخين[٢] سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م على صداق قدره ٦٠٠ دينار، محققاً آماله وطموحاته من خلال هذه الزيجه التي ربطت هؤلاء المحالفين برباط النسب والمصاهرة مع إدريس بن عبد الله الحسنى العلوي ويورد لنا ابن حيان[٣] نصاً في غاية الأهمية بما يفيدنا في حرص إدريس بل ومن أتى إليه من العلويين وأشرافهم على الإصهار إلى البربر لاستئلافهم والإكثار من الذرية والنسل فيقول "وشاركهم – أي إدريس ونسله-الذين حكموا المغرب الأقصى دهراً في طرف منه بنوعمهم ولد سليمان بن عبد الله بن الحسن بن حسن بن على رضى الله عنه الناجي من تلك الوقعة منجاة أخيه إدريس فأوطنا هذه القاصية ودعوا سكانها البرابرة إلى رأيهم واستألفاهم

---

(١) عن هذا الاختلاف راجع على بن أبى زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط، سنة ١٩٩٩م، ط٢، ص٢٩، هامش ٣٧.

(٢) راجع أبا عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون، ص١٢٢.ابن أبي زرع : المصدرالسابق .

(٣) أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي :المقتبس (قطعة خاصة تشتمل على عهد الناصر لدين الله) تحقيق ب. شالميتا ف. كورينطى وم. صبح، المعهد الأسباني العربي للثقافة، كلية الآداب، مدريد، سنة ١٩٧٩م.

برقائقهم وأصهرا إليهم وكانت النتيجة لذلك أن توالت ولادتهما منهم وتهيأت لهما ولاعقابهما الإمارة عليهم".

من جانبهم حرص أفراد البيت الإدريسي بعد ذلك على التصاهر فيما بينهم حرصاً على الملك وتجنباً للشقاق والخلاف خاصة بعد تقسيم الدولة حتى لا يطمع طامع في أي من أمرائها والمثل الأوضح في ذلك ليحيي بن محمد بن الإمام إدريس حاكم منطقة فاس "القرويين" الذي تزوج عاتكة بنت على بن عمر بن إدريس صاحب بلاد صنهاجة وغمارة، وما حدث له وما ترتب عليه من تصرف لزوجته لأكبر دليل على الأهداف السياسية المبتغاه من وراء زواج الأقارب في الأسر الحاكمة، إذ دخل هذا الإدريسي على جارية من اليهود الحمام وراودها عن نفسها فاستغاثت فأغاثها الناس منكرين تلك الفعلة وهجموا على يحيي يريدون قتله عندئذ ساعدته زوجته على الفرار إلى عدوة الأندلسيين، وهناك مات ندامة وحسرة على ما فرط في حق نفسه وما لحق به من العار والخجل والفضيحة[1]، ليستغل ذلك الموقف أحد الطامعين وهو عبد الرحمن بن سهل الجذامي الذي تزعم الناس وقام بأمر المدينة فلم تسكت عن هذا الموقف عاتكة زوجة يحيى وأبت ضياع ملك زوجها إلى غير أسرتها فكتبت إلى أبيها تخبره بما حدث وتخشى ضياع فاس، عندئذ تجهز أبوها وجمع جيشاً وحشماً وقصد به مدينة فاس فدخل عدوة القرويين ووأد الفتنة وبايعه أهل المدينة[2] بفعل ابنته التي تحلت بالصبر

(١) ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص٩٣-٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص٩٤.

وتذرعت بالأناة على ما فعله زوجها وحفظت ملك الأدارسة في فاس من الضياع.

صورة أخرى من المصاهرات السياسية ذات الأهداف بعيدة المدى في عصر الدول المستقلة بالمغرب تجدها في دولة الأغالبة (١٨٤- ٢٩٦هـ / ٨٠٠ - ٩٠٨م) بالمغرب الأدنى الذين حكموا باسم العباسيين ولم تنقطع بينهما الصلات السياسية والروحية والثقافية، واستند بنو الأغلب على تلك العلاقة في مواجهة منافسيهم بالمغرب من ذوي المذاهب الأخرى وحرصوا على تدعيم وتقوية هذه العلاقة بشتى الصور وخاصة بعد ظهور الداعي الفاطمي أبوعبد الله الشيعي وكان من بين تلك الوسائل محاولات الإصهار للبيت العباسي والتي تمت بالفعل بمجيء عباسي إلى المغرب الأدنى في سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م وهو في بواكير الصبا وهو عبد الوهاب بن الخليفة المهدي بن الخليفة الواثق العباسي بعد مقتل أبيه بخمسة أعوام[١]، فأحسن الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (٢٦١ - ٢٨٩هـ/ ٨٦٤ - ٩٠١م) لقائه وأكرم وفادته ونزله وأسكنه بجوار قصره المسمى الفتح في أحد المتنزهات البديعة التي أنشأها الأمير بمدينة رقادة وبعد مدة رغب الأمير العباسي الشاب في الزواج من الأسرة الأغلبية فزوجه الأمير إبراهيم الثاني ابنة أخيه المتوفي محمد الثاني المعروف بأبي الغرانيق (٢٥٠ - ٢٦١هـ/ ٨٦٤ - ٨٧٤م)[٢] وتوالت الولائم الخاصة بهذا العرس أياماً ولياليً في مدينة رقادة وكان

(١) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، ق١، مكتبة المنار تونس، سنة ١٩٦٤، ص٣٩٣.

(٢) حسن حسنى عبد الوهاب: المصدر السابق.

وكان قاضي هذه الزيجة الفقية عبد الله بن طالب التميمي وسكن الأمير عبد الوهاب وزوجته في قصر منيف لطيف تحف به حديقة جميلة حتى انجبا محمد وحسيناً اللذين نشأ كل منهما في رعاية عم أمهما[١] وشغلا فيما بعد ببعض الأعمال وتولوا بعض المناصب عند الأغالبة وذلك بعد أن فارقهما أبوهما إلى المشرق وسرمن رأى[٢] وظل الأميران حتى سقوط الدولة الأغلبية فأستنكفا الإقامة في ظل الدولة الفاطمية فرحل أحدهما وهو محمد إلى الأندلس في حين رحل حسين إلى صقلية[٣].

ومن أمثلة المصاهرات ذات الطابع السياسي التي جاءتنا أخبارها من العصر الزيري (٣٦٢ - ٥٤٣هـ/ ٩٧٢- ١١٤٨م)، مع أنها لم تؤد أهدافها السياسية إلا لفترة محدودة وذلك نتيجة الاضطراب السياسي بين البيت الزيري وانقسام الأسرة على نفسها سياسياً ولم تنته خلافاتهم السياسية الكبيرة إلا بتقسيم الدولة إلى مملكتين أحدهما في الشرق والثانية في الغرب يقول ابن خلدون[٤] "واقتسموا الخطة والتحموا بالإصهار وافترق ملك بني صنهاجة إلى دولتين، دولة المنصور بن بلقين أصحاب القيروان ودولة حماد بن بلقين أصحاب القلعة " أي أن الاتفاق على تقسيم الدولة شمل شرط الإصهار بين أفراد الأسرة صلة للرحم وتوطيداً للعلاقات السياسية بين الدولتين. وقد أتت هذه المصاهرات أكلها وأفلحت في إنهاء الفتن ووقف الحروب بين الدولتين والتي كانت في الغالب بسبب

(١)حسن حسنى عبد الوهاب: المصدر السابق.

(٢) المرجع السابق، ص٣٩٤.

(٣) نفسه.

(٤) كتاب العبر، م٦، ص١٨٧.

العرب الذين كانوا يؤججون نيرانها بين الطرفين مثلما حدث بين تميم بن المعز (٤٥٣ -٥٠١ هـ/ ١٠٦١- ١١٠٧م) والناصر بن علناس (٤٥٤ - ٤٨١هـ/ ١٠٦٢ - ١٠٨٨م) يقول ابن خلدون[١] " فتن كان سماسرتها العرب يجأجئون بالناصر من قلعته ويوطئون بعساكرهم بلاد أفريقية وربما ملك بعض أمصارها واستمر الأمر على ذلك بين تميم والناصر حتى اصطلحا سنة سبعين وأربعائمة وأصهر إليه تميم بابنته"[٢].

ومن ناحية أخرى استفاد البيت الزيرى في الشرق والغرب من مناصرة العرب المحالفين له بعيداً عن العلاقة بين طرفي الأسرة ويذكر في ذلك أن المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٣هـ/١٠١٥-١٠٦١م) لما رأى من جبروت العرب وعيثهم وفسادهم ببلاده تقرب إليهم عن طريق المصاهرة لتهدئة خواطر بعضهم ولعله يستفيد بهم في قابل أيامه فيذكر التجانى[٣] أنه أصهر إلى رجلين من العرب ببنتيه يعرف إحداهما بالفضل بن أبى على من مرادس العربية ويعرف الآخر بفارس بن أبى الغيث وقد أثبتت الأيام بعد نظر المعز إذ لما اختل أمره في صبرة وكان قد انتقل إليها من المهدية وذلك بسبب تغلب الأعراب على البلاد، قرر أن يترك صبرة ويعود إلى المهدية التي حصنها بالعتاد والرجال سلفاً وعين

(١) المصدر السابق، ص١٨٩.

(٢) راجع كذلك أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعيني المعروف بابن أبى دينار: المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، سنة ١٣٨٧، ط٣، ص٨٥.

(٣) أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني: رحله التجاني في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، سنة ١٩٥٨م، ص٣٢٩-٣٣٠.

عليها ولده تميماً الذي ثار عليه وتملك المهدية أيضا، فتعجل في العودة إليها ولكنه لم يستطع الخروج من صبرة بسبب حصار الأعراب لها وما استطاع ذلك في سنة ٤٤٩ هـ/١٠٥٧م سراً إلا عن طريق صهريه السابقين اللذين خفراه حتى اتجها به إلى المهدية ولما أحس الأعراب بذلك لحقوا بهم، ولكن ظل أحد الصهرين وهو فارس بن أبي الغيث يوافقهم ويراجعهم إلى أن خلص المعز إلى المهدية.

ولم تقتصر المصاهرات على طرفي بيت بنى زيري وإنما كانت هناك مصاهرات داخل أفراد البيت الزيري الشرقيين أوالغربيين كانت أيضاً ذات أغراض سياسية فعند بني حماد تزوج بلقين بن محمد بن حماد (٤٤٧ – ٤٥٤هـ/ ١٠٥٥ – ١٠٦٢م) من إبنة عمه علناس بن حماد وكانت تسمى ناميرت وهي التي اتهمها زوجها بقتل أخيه مقاتل بن محمد ولذلك أقدم على قتلها صبراً وقد أدى ذلك إلى صراع عنيف بين أخيها الناصر بن علناس وبين زوجها تميم[1]، إذ صمم الأول على الأخذ بثأر أخته، وانتهز فرصة تردد تميم على بلاد المغرب للغزو فنهض سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م وتوغل في بلاد المغرب ونزل بفاس وعاد منتصراً متخذاً من أشراف فاس وكبار رجالاتها رهنا على الطاعة، فانتهز الناصر هذه الفرصة ومالأه قومه من صنهاجه على هذا وانقض عليه بجموعه وقتله بمنطقة تسالة في نفس العام[2].

وعليه لم تكن المصاهرات السياسية كلها في صالح أهلها، بل أن المثال السابق يوضح لنا أنها ربما تكون وبالاً على طرفيها وينتفي النفع

(١) المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٢٠٤.

تماماً من ورائها فلا يكون وئام ولا تحسن العلاقات بين أسرتين حاكمتين ولا حتى محافظة على وحدة الأسرة الواحدة.

ومن صور المصاهرات السياسية في عهد المرابطين وجدنا زواج أبي بكر بن عمر اللمتوني في أول دولة المرابطين بإحدى نساء قبيلة نفزة البربرية الزناتية[1] وهي زينب بنت اسحاق، ورغم ما تذكره المصادر[2] عن جمال هذه المرأة وما تتمتع به من صفات أخرى إلا أنها لم تكن مرابطية صنهاجية، وهو ما ينم عن قصد أوهدف سياسي من زواجها خاصة وأنها كانت زوجة لزعيم سياسي قضى عليه المرابطون وأزالوا رياسته ألا وهو لقوط بن يوسف المغراوي الذي كان بإغمات[3]،

(١) رغم اتفاق المصادر على أصلها النفزى ونسبها فيها إلا أن ابن أبى زرع يذكر أنها هوارية وأسمها زينب بنت إسحاق الهوارية وأن آباها كان رجلاً من التجار راجع الأنيس المطرب، ص١٧٠.

(٢) راجع ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، سنة ١٩٨٣م، ط٣، ص١٨. ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، م٩، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٥م، ط٥، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤، تحقيق حسين نصار مراجعة عبد العزيز الأهواني، القاهرة، سنة ١٩٨٣م، ص٢٦٥، ابن أبى زرع، المصدر السابق، ص١٧٠. السلاوي: الاستقصا بأخبار المغرب الأقصى ج١، تحقيق، الرباط، ص٢١، ٢٣. ، العباسي بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش وإغمات من الأعلام، ج١، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، سنة ١٩٩٣م، ط٢، ص١٩٧.

(٣) السلاوي: المرجع السابق، ص١٥.

وقد وضع أحد الباحثين المحدثين[١] يده على تلك الحقيقة قائلاً "ولا يستبعد أن الأمير أبا بكر حينما أقدم على زواجه بها لم يفكر فقط في جمالها وذكائها وإنما دفعه إلى ذلك أيضاً الرغبة في أن يتقرب أكثر فأكثر من أهل إغمات وإبقاء مصمودة والمصاهرة كما هو معلوم كانت في كل زمان ومكان وسيلة لتمهيد الأحلاف السياسية وتوثيقها" ثم إن زوجها الثالث[٢] أبا بكر بن عمر لما أراد مفارقتها لانشغاله بأمر الجهاد في السودان أشار على ابن عمه[٣] الذي مكن لنفسه وللمرابطين في الشمال وهو يوسف بن تاشفين أن يتزوجها، ليدل على حرص ولاة أمر المرابطين على هذه المرأة لما علموا من حسن تدبيرها وكذلك سياستها التي لمسها منها أبو بكر عمر وكذلك يوسف بن تاشفين التي وصفت وهي تحته بأنها "القائمة بملكه والمدبرة لأمره والفاتحة بحسن سياستها أكثر بلاد المغرب[٤]. نزيد على ذلك أن زينب النفزاوية نفسها كانت طموحة جداً إذا أبت إلا أن تتزوج بعد لقوط إلا بملك المغرب رغم أنه تقدم لها مشايخ الناس وكبارهم وأمراؤهم فامتنعت عليهم ومن أجل ذلك رموها بالحمق[٥] وهم لا يعلمون طموحها وهدفها. ثم أنها قد ألفت الرياسة وخبرت التدبير فيذكر عنها أنها كانت لبيبة ذات عقل رصين

(١)محمد زنبير :المغرب في العصر الوسيط "الدولة ،المدينة ،الإقتصاد" تنسيق محمد المغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط ،سلسلة بحوث ودراسات ٢ص٨٣-٨٤

(٢)حيث تزوجت زينب النفزاوية من رجل آخر قبل لقوط المغراوي.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٤، ص٢١، السلاوي: المرجع السابق، ص٢١.

(٤) ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٧١، المرجع السابق، ص٢٣.

(٥) ابن عذاري: المصدر السابق، ص١٨.

ورأي متين ومعرفة بإدارة الأمور حتى ليقال لها الساحرة[١] ومن هنا ما أرادت إلا حاكما تسوس معه وتدبر ولهذا لما تقدم لها أبو بكر عمر قبلته زوجاً، ولما رأت من أفول شمسه السياسي في المغرب رضيت أن يطلقها أو قيل أنها هي التي طلبت منه الطلاق[٢]، وذلك حتى يتسنى لها الزواج بمن ملك المغرب آنذاك يوسف بن تاشفين الذي أوصاه ابن عمه وعرفه بأنها إمرأة مسعودة[٣]، وبالفعل تزوجها يوسف بن تاشفين بعد تمام عدتها لتحقق هي به طموحاتها السياسية بصفتها زوجة أمير المسلمين حتى لو ضحت بأموالها إذ تقول بعض المصادر[٤] "أنها أخبرته أنه سيملك المغرب وأعطته أموالاً كثيرة وأصلحت من أحواله" وقد حققت هذه الآمال والطموحات بالفعل فتذكر الأخبار أنها "كانت الحظية عنده – أي يوسف – والأميرة عليه[٥]" أو أنها "لها الحكم في بلاده[٦]" وهى "القائمة بملكه والمدبره لأمره[٧]" وهى التى خاطبها يوسف نفسه "والله لا خالفتك في أمر تشيرين به أبدا[٨]" بل يذكر ابن عذارى[٩] أنها "إمراة غالبة عليه – ولا كان امرا إلا أمرها" .

---

(١) السلاوي: الاستقصا، ج١، ص ٢٠.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢١.

(٣) نفسه.

(٤) المصدر السابق، ص٢٢.

(٥) النويرى: نهاية ج٢٤، ص٢٩٥.

(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، ص٩٩.

(٧) ابن أبى زرع: الأنيس، ص١٧١.

(٨) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٤.

(٩) المصدر السابق، ص٣٠.

وإذا كانت هذه المصاهرة لقبيلة أخرى قد سكنت قبيلة نفزة وتحققت من ورائها الأعمال المرابطية والخير الكثير على المستوى السياسي وذلك باعتراف يوسف بن تاشفين نفسه إذ إنه لما كان يجالس قومه في غيابها يقول لهم إذا ورد الحديث عنها "إنما فتح البلاد برأيها[١]" ، نقول فإن المرابطين حرصوا كل الحرص على ترابط الأسرة المرابطية بالتزواج بين أفرادها الذين مكن لهم يوسف بن تاشفين في المغرب والأندلس وملكهم رقاب العباد حتى يكونوا يدا واحدة ويجنبهم الفرقة والنزاع ومن ينظر في سيرة المرابطين وأنسابهم يتأكد من الحرص على تنفيذ ذلك ونأخذ على سبيل المثال سير بن أبى بكر فقد كان متزوجاً من حواء بنت تاشفين أخو يوسف بن تاشفين لأمه[٢] وتوفي سير هذا وهو يزف أخت زوجته المسماة فاطمة إلى على بن يوسف بن تاشفين في الأندلس سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م[٣]. ويخبرنا ابن الآبار[٤] أن وإلى مدينة فاس ابن الصحراوية يحيى بن أبى بكر بن على بن يوسف بن تاشفين كان قد أعرس ليلة دخول الموحدين مدينة فاس بأمراة من قومة وكانت هذه الزيجة سبباً في انشغاله عن تهيأة نفسه والدفاع عن المدينة وانشغاله

---

(١) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، القاهرة، سنة ١٩٨٠م، ط١، ص٣٥٩. نقلاً عن النويرى وابن الأثير.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٥٦، ١٠٥.

(٣) نفسه.

(٤) الحلة السيراء، ج٢، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٨٥م، ط٢، ص٢٣٦.

بكثرة الهدايا التي قدمت له من أحد المتأمرين مع الموحدين[1]، وهذا يحيى بن إسحاق المسوفي المعروف بإنجمار أو ونزمار والذي كان والياً لتلسمان أواخر العصر المرابطى وقد كان زوجاً لإحدى بنات أمير المسلمين على بن يوسف وكانت تسمى زينب[2] ولها قصة مشهورة مع الموحدين بسبب ترك زوجها قبيلة من المرابطين ودخولة في طاعة الموحدين ودعوتهم ولم يراع القرابة ولا الصهر[3] بما يؤكد الأهداف المرجوة من وراء هذه الزيجات التى ربما لا تتحقق أبداً.

ثانيا:المصاهرات السياسية في العصر الموحدى

إن من أنجح الوسائل التي توسل بها الموحدون في سبيل المحافظة على الدولة وتوسعها ثم حفظ أمنها واستقراره هى دبلوماسية المصاهرات التي أخذت الطابع السياسي من أهدافها سواء كانت مصاهرات بين أفراد البيت الموحدى أو البيت الحاكم من بنى عبد المؤمن بن على(٥٢٤ -٥٥٨هـ/ ١١٢٩ - ١١٦٢م) للحفاظ

(١) راجع مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق ف.علوش، رباط الفتح، سنة ١٩٣٦م، ص١١٨-١١٩، ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٥م، ص٣٠.

(٢) وملخصها أنه لما حاصر الموحدون تلمسان وافتتحوها سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وانتهبوا دورها وأخذوا نساءها سبيات، لم يمسوا دار زينب هذه ولا أخذوا أموالها وبكرامتها عفوا عن جميع عيال أصحاب زوجها وإخوانه واحترمت دارها من الفئ راجع: مجهول: المصدر السابق، ابن عذارى: المصدر السابق.

(٣)مجهول: المصدر السابق، ابن عذارى: المصدر السابق

على وحدة الموحدين أو الحفاظ على شرف الأسرة ونظام التوريث الذي أقره عبد المؤمن بن على وإقرار الأمور بين أفراد الأسرة وضمان عدم التنازع المفضي إلى الضعف. أو تلك التي كانت بين أفراد الأسرة الموحدية وغيرهم من حكام المناطق التي أخضعوها لحكمهم من أجل ضمان ثبات تلك التوسعات وتبعيتها للإدارة المركزية الموحدية وأيضاً لإبعاد شبح الثورات من جانب هؤلاء المغلوبين في المستقبل، كذلك حرص حكام الموحدين وأمراؤهم على التصاهر مع كبار رجال دولتهم من الإداريين وكذلك كبار مشايخ القبائل العربية لضمان إخلاص رجال الدولة والحاجة إلى القبائل العربية في ولائها التام للأسرة وعدم ثورتها فضلا عن مساعداتها الحربية لإخماد ما يقوم ضدهم من ثورات أو للجهاد في بلاد الأندلس، وكل هذا سنقوم برصده على النحو التالي.

١- المصاهرات بين أفراد البيت الحاكم الموحدى:-

لاشك أن الهدف من ذلك المحافظة على وحدة الأسرة كما قلنا وضمان عدم التنازع ومن هنا حرص المؤمنيون على التزواج فيما بينهم ومن هذا القبيل وجدنا السيد أبا سعيد بن الخليفة عبد المؤمن بن على والى اشبيلية ثم غرناطة في عهد أخيه أبى يعقوب يوسف يزوج ابنته من السيد الأعلى أبى جعفر الموحدى وذلك سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م عندما استدعاه أخوه الخليفة هو وجميع ولاة الأندلس إلى مراكش في هذا العام[1]. ورأينا الخليفة الموحدى الثالث أبو يوسف يعقوب (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ/ ١١٨٤ - ١١٩٨م) قد تزوج من السيدة الحرة أمة الله بنت السيد إبراهيم بن عبد المؤمن بن على من بنات عمومته ومنها أنجب ولده

(١) ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٩٣-٩٤.

الخليفة من بعده الناصر محمد (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٨-١٢١٢م)[١]. كما زوج المأمون (٦٢٦-٦٣٠هـ/١٢٢٩-١٢٣٣م) ابنته المسماة نجمه إلى الوزير السيد أبى إسحاق الموحدى تلك التي أصيبت في مالها وحالها بعد مقتل أخيها السعيد على يد الخلط من العرب سنة ٦٤٦ هـ/١٢٤٨م[٢]. ونجد أم الخليفة أبو حفص عمر المرتضى (٦٤٦ - ٦٦٥هـ/ ١٢٤٨-١٢٦٧م) حرة موحدية مؤمنية وهى بنت عم أبيه لم تذكر لنا المصادر اسمها[٣].

٢- المصاهرات السياسية بين الموحدين والأسر الحاكمة قبلهم:-

حرص بنو عبد المؤمن على مصاهرة الأسرة الحاكمة والتقرب إلى كبار رجال الإدارة في دولة المرابطين لاستيلاف قلوبهم وجذبهم إلى الدعوة الموحدية ويدفعنا إلى هذا القول حادثة توقف الإنسان للتفكير ونخرج في النهاية منها إلى أن ذلك لم يكن إلا لما وصلنا إليه من هدف سياسي لمصاهرات الحكام ومن حولهم ألا وهي حادثة حصول الموحدين على مائة بكر عند فتح مليلة، فاعتبروهن مؤمنات وقسمن على الموحدين إلا اثنتان وهما من بنات الرؤساء ، فاطمة بنت يوسف الزناتية وبنت فاكسن بن المعز صاحب مليلة المفتوحة فتزوج عبد المؤمن بن على بنت

---

(١) ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٠٤، إبراهيم بن العباس: الإعلام ج١٠، ص٣٨٩.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٤٠٥.

(٣) ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٣٥، العباس بن إبراهيم: الإعلام، ج٩، ص٢٨٥.

فاكسن بن المعز والأخرى الشيخ أبو إبراهيم من كبار مشايخ الموحدين وأنجبت الأولى للخليفة عبد المؤمن الأميران إبراهيم وإسماعيل[١] .

كما امتدت دبلوماسية المصاهرات عند الموحدين إلى الأسر الحاكمة قبيل توسعاتهم في المغرب والأندلس وذلك لحرص الموحدين على المحافظة على تلك التوسعات فأثناء الإمتداد الموحدى شرقاً في المغرب الأوسط والأدنى تمت مصاهرة بين عبد المؤمن بن على والحسن بن على بن يحيى بن تميم بن عبد المعز بن باديس (٥١٥ - ٥٤٣ هـ/ ١١٢١-١١٤٨م) صاحب المهدية المستوطن للجزائر وذلك بعد أن نزل ملك صقلية روجار الأول Rogar I على المهدية وحصرها فتركها الحسن وافتتحها روجار دون قتال وذلك سنه ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٢] عندها هرب الحسن بن على إلى الجزائر منتظراً الفرصة لإعادة ملكه، فلما وصل إليها عبد المؤمن بن على بجيوش الموحدين خرج إليه الحسن وبايعه بل وصاهره عبد المؤمن ثم حمله في رحلة احتلاله أفريقية ومنازلته المهدية واستعادتها من النورمانديين(٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)[٣] وذلك لكي يكون له

(١) أبو بكر بن على الصنهاجي المكني بالبيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة، الرباط، سنة ١٩٧١م، ص٥٦.

(٢) راجع ابن الأثير: الكامل، م٩، ص٣٥٠-٣٥٢، النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٤٧-٢٤٩، ابن خلدون: العبر، م٦، ص١٩١، ابن أبى دينار: المؤنس، ص٩٤-٩٥.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس، ص٢٥٩، الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس، سنة ١٩٦٦م، ، ص١١.

عوناً ودليلاً في البلاد[١] وإكراماً له وبعد استيلائه على المهدية أشركه في حكمها مع أحد الموحدين وهو محمد بن الفرج الكومى[٢] أو كما ذكر ابن أبى دينار[٣] رده إليها حاكماً بقوله "رد إليها صاحبها الحسن بن على" ومع أن المصادر لم تنبأنا بهدف تلك المصاهرة مباشرة إلا أنه يستنتج من خلال الأحداث محاولة عبد المؤمن الاستفادة من هذا الأمير المهزوم من خلال معرفته أحوال المهدية وأفريقية عامة ولذلك حمله معه إلى مراكش ثم اصطحبه في عودته إلى أفريقية والمهدية ربما يكون معه دليلاً أو تشجيعاً لأهلها على مساعدته في محاربة الصقليين أو لإلهاء هذا الأمير عن التفكير في الرجوع إلى تلك المدينة واستعادة ملكه بهذه المصاهرة أو ليكون جميل يطوق به عنق الحسن ومراعاة لحقه عليه بعد انتشاله أثناء هروبه واستيطانه الجزائر واستجارته له. أما من ناحية الأمير الحسن فقد كانت أهدافه واضحة من وراء هذه المصاهرة وعلى رأسها سعيه الحثيث من أجل استرداد ملكه السليب على يد تلك القوة الفتية ولذا لما استقرعبد المؤمن بن على بمراكش بعد عودته من احتلال المغرب الأوسط، لم يزل الحسن يغريه بالحركة إلى أفريقية ويحضه على استعادتها من أيدي النصارى إلى أن تحرك من مراكش سنه ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م[٤]، ولما تمكن عبد المؤمن من المهدية رغب الحسن في توليها[١]

---

(١) راجع عبد القادر عثمان جاد الرب: لماذا قرر الموحدون التوجه نحو أفريقية "الموحدون وأفريقية"، مجلة بحوث كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، العدد الأول، سنة ١٩٩٩م، ص١٥٨.

(٢) الزركشى: المصدر السابق.

(٣) ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص١١٦.

(٤) التجانى: رحلته، ص ٣٤٤-٣٤٥.

ولكن عبد المؤمن أرضى صهره بالمشاركة في حكمها خوفاً من طمعه وتجنباً للمشاكل وحرصاً على هدوء الأحوال بأفريقية، ويبدو أن هذا الإحساس قد وصل إلى خليفته أبا يعقوب يوسف فما إن تولى الحكم حتى وصل أمره باستدعاء الحسن إلى المغرب، فخرج منها بأهله وحاشيته، وتوفى بالطريق في تامسنا سنه ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م[٢].

أما في الأندلس التي استغل أهلها ضعف المرابطين في عهد تاشفين بن على (٥٣٧-٥٣٩هـ/ ١١٤٢-١١٤٤م) وتوالى الهزائم عليه من الموحدين فأعلنوا الثورة في كل مكان وازدادت هذه الموجه عقب وفاته سنه ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م واستقل كل رئيس بناحية وأعلن تملكه[٣]، في الوقت الذي التفت فيه عبد المؤمن بن على إلى الأندلس لتخليصها للموحدين باعتبارها تابعة للدولة المرابطية الساقطة، فسير إليها الجيوش التى تفردت بأولئك الثوار حتى أدخلوهم في طاعة الموحدين[٤] ولم يكن هناك إلا مناطق بعينها سيطرعليها ثواراً ورؤساء استعصى على الموحدين أمرهم فكان عليهم بذل المجهود والاستمرار في بعث القوات والجيوش والأساطيل للقضاء عليهم خاصة وأن هؤلاء الثوار الصامدين

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(٢) نفسه.

(٣) راجع التفاصيل: ابن الخطيب السلماني: كتاب أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ أسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، سنة ١٩٥٦م، ط٢، ص٢٤٨ وما بعدها، البيذق: المصدر السابق، ص٨٦-٨٧.

(٤) عن استنزال هؤلاء الثوار والقضاء عليهم راجع ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٣٤ وما بعدها.

كانوا متساندين ومتعاونين ومتصاهرين كذلك فضلا عن استعانتهم بالنصارى في مواجهة الموحدين، ومن هنا كان لابد للموحدين من اللجوء إلى وسائل أخرى غير القتال والحرب من أجل احتواء هؤلاء الثوار المتغلبين وكان على رأس هؤلاء جميعا الأمير أبى عبد الله محمد بن سعد الجذامى المعروف بابن مردنيش[1] أمير شرق الأندلس ويليه إبراهيم بن

(١) كان من أنكى الثوارعلى المرابطين وكذلك واجه الموحدين، ورغم أن المصادر العربية تذكر نسبه العربي وأنه من جذام إلا أن بعض الباحثين المحدثين ينكرون ذلك الأصل ويقولون بأصله الأسباني وأن جده الأعلى مردنيش من الاسم الأسباني Martinez، إلا أن الاسم العربي لا يتواءم مع هذا الاسم وإلا كتبت مرتينس أو مردينش ولا يمكن أن يكون Martinez بالنبر فلا تتماشى مع العربية ولهذا اقترح فرانسيسكو كوديرا أن يكون الاسم من الكلمة اللاتينية Martinus أو البيزنطية Mardinius وعلى كل حال فالاسم يوحي بأن الرجل من أصل غيرعربي ولكن نسب إلى العرب بالولاء وذلك لأن جده الأعلى ربما يكون قد أسلم على يد أحد الجذاميين سكان جنوب شرق الأندلس كما يقول الدكتور حسين مؤنس فنسبت الأسرة إلى الجذاميين، وشقت الأسرة حياتها في الأندلس واشتهروا على المستوى السياسي وكان منهم محمد هذا الذي ركب موجة الثورة ضد المرابطين واستغل ظروف الأندلس وكون لنفسه ملكاً مستعينا ضد الموحدين بالنصارى الذين أسموه الملك لوبو Lobo ومن كثرة تعاونه مع هؤلاء النصارى أنعمت عليه البابوية بأن أعطته لقب "صاحب الذكر الحميد" .عن أصل هذا الرجل وتاريخه راجع: ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالامامة أو تاريخ المغرب والاندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٨٧م، ط٣، ص٦٥، هامش ١، ص٦٥، ٧٠، ١٤٧، ١٥١، ١٩٥-٢٠٠، ٣٠٢-٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٢. ابن عذارى: المصدر السابق، ص٨٨-٩١، ١١١ وما بعدها. ابن الأبار: الحلة،

أحمد بن مفرج بن همشك المتغلب على منطقة شقورة والتي ضبطها لنفسه وناغى بها ابن مردنيش وثالثهما يوسف بن هلال الذي تغلب على أماكن عده في شرق الأندلس[١] أيضاً وقد زاد في صلابة هؤلاء أمام الموحدين ارتباطهم برباط المصاهرة[٢] واستعانة كل منهم بصهره بل انضوائهم جميعاً تحت رئاسة ابن مردنيش حتى ذكرت المصادر عن يوسف بن هلال أنه "كان عونا له"[٣] أي لابن مردنيش وعن ابن همشك أنه "كان سيفاً لصهره مسلطاً على من عصاه"[٤]. واستكمالاً للرئاسة وتكثيفاً للجهود ضد الموحدين جمع ابن مردنيش أسرته حوله عن طريق المصاهرات كذلك[٥]، فوقف كل هؤلاء الأصهار ضد الموحدين وصمد هو أمامهم وذلك حتى تغيرعليهم وظهر طغيانه وجبروته وأوقع بوزرائه ورجاله، عندئذ خافه الجميع على أنفسهم وما لبثوا أن انفضوا من حوله واحد بعد الآخر وكان أولهم صهره يوسف بن هلال الذي خلع طاعته واستعان عليه بالنصارى وكان شجي في حلقه حتى قبض عليه ابن

ج٢، ص٢٣٢-٢٣٣ هامش ١، ص٢٦٨، البيذق: المصدر السابق، ص٨٠، هامش ١٧١.

Francisco Codera: Decadencia y Desaparicion De Los Almoravides en Espana, Zaragoza, 1899, p.111ff.

(١) عن أولية هؤلاء الثوار وتملكهم راجع ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٥٩-٢٦٤.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٦٠-٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق،

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٥) ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص١١٣، ابن الآبار: الحلة، ج٢، ص٢٦٨.

مردنيش وقتله سنه ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م[١]. ثم أظلم الجو بينه وبين ابن همشك ووقعت العداوة بينهما وازدادت البغضاء وانقطع ابن همشك عن مواصلته وزيارته زماناً وازداد خوفاً وفزعاً من تغير ابن مردنيش عليه وقتله كما قتل وزرائه ورجاله[٢] وانتهى الأمر بينهما بأن طلق ابن مردنيش ابنة ابن همشك وطردها شر طردة وأهانها[٣] وكانت هذه قاصمة الظهر لابن همشك الذي قطع صلته بابن مردنيش ثم خلع طاعته رسمياً وأرتمى في أحضان الموحدين[٤]، بل أكثر من هذا صار يستعديهم على ابن مردنيش[٥] ولما بدأوا بمواجهته عسكرياً صار معهم يدلهم على عوارته يقول ابن صاحب الصلاة[٦] "وابن همشك يدل الموحدين على عوارت عدوهم وعدوه وينكيه في رواحه وغدوه" أما أقاربه وأصهاره الآخرين فقد اختلفوا لوقت غير قصير في أمرالموحدين فمنهم من وقف معه حتى وفاته وآخرين دعوا بدعوة الموحدين كصهره محمد بن

---

(١) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٦٠، ٢٦٢-٣٦٣.

(٢) وكان ابن مردينش قد قتل وزيريه ابني الجذع وبناهما في الحائط حتى ماتا كما قتل ابن صاحب الصلاة وغيره بالجوع راجع: ابن عذارى: البيان قسم الموحدين، ص١٠٨، ص١٢٢. ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٣) راجع ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٠٨.

(٤) راجع ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن، ص٣٠٣، ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٠٨، ٣١٢.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص٣٠٨، ٣١٢، ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٠٨، ١١٠.

(٦) المصدر السابق، ص٣١٦-٣١٧ راجع كذلك ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣١٢.

مردنيش صاحب البسيط متعاوناً مع أصهاره الآخرين من بنى هلال وعلى رأسهم محمد بن هلال ثم ما لبثوا أن دعوا الموحدين إلى مرسية[1] فلما علم بذلك ابن مردنيش نكبه في قتل زوجته التي هي أخته وأبنائه جميعاً[2]، وكفي الله الموحدين ويوسف بن عبد المؤمن شر هؤلاء المتحالفين المتصاهرين، فتفرق الناس من حول ابن مردنيش ويصور لنا ابن عذاري[3] هذا الموقف الذي صار فيه ابن مردنيش.. ولم يزل ابن مردنيش في حصاره في عقر داره والنكبات تترادف عليه من انقلاب أخوته وأصهاره وتحولهم عن طاعته وهو مكمود ومفئود قد أسلمه القريب والبعيد وظهر له من أخيه يوسف التقصير وتحقق منه الإنحراف عنه والميل إلى الموحدين فزادت كبده ألماً واتصلت نفسه سقماً فلازمته العلة المزمنة وفيها كانت منيته فتوفي حزيناً سنة ٥٦٧ هـ/ ١١٧١م ولكن مشكلة ابن مردنيش لم تنته بموته بل كان عنده من الأبناء من يمكنهم الاستمرار في الثورة ضد الموحدين وكذلك أخوته وأهله الآخرين ولكن يقال أن ابن مردنيش أوصى قبل وفاته أبناءه بالتسليم للموحدين كي

(١) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص٣١٩، ابن عذارى: المصدر السابق، ص١١٣.

(٢) إذا لما أمر بقتل أخته وقتل بنيه منها أمر المكلف بعذاب الناس باغراقهم في بحيرة متصلة بالبحر على اشنع حال راجع ابن عذارى: المصدر السابق، ص١١٣-١١٤.

(٣) المصدر السابق، ص١١٣. راجع كذلك ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص٣١٩.

يحظوا عندهم[١] لما علم أن ملك ضائر إليهم، فحل بنفسه المشكلة بالنسبة لأبنائه الذين استجابوا لوصيته وارتموا في أحضان الموحدين تسليماً وطاعة[٢] ، في حين اجتمع بنو مردنيش وكبيرهم أخوه يوسف واتفقوا جميعاً على أن يلقوا بأيديهم في أيدي أبي يعقوب يوسف ويسلموا إليه البلاد، فأقبل الموحدون عليهم بالقبول[٣]، فلما ورد هلال بن محمد بن مردنيش إلى الخليفة أنزل بترحاب في أشبيلية وأفهموا من جانب الموحدين أنهم الأقارب والأصاحب[٤]، بل أقبل على إستيلاف قلوب هؤلاء وإكرامهم لضمان عدم ثورتهم أو إثارتهم بالإساءة والمعاملة الدونية، وفي النهاية قرر الخليفة مصاهراتهم في بنات محمد بن مردنيش نفسه ويقال أن الخليفة رق وأهتز لوصية تركها ابن مردنيش وهو في فراش الموت "يشهد على نفسه بايصاء يوسف بن عبد المؤمن عدوه على ولده وأهله ورغبه في قبول ذلك" فعمل على تنفيذها مستحسنها كوسيلة[٥]، فأقبل على بناته فتزوج أحداهن[٦] وتزوج ابنه الخليفة أبو

---

(١) يقول ابن الخطيب أنه "اشهد على نفسه بايصاء يوسف بن عبد المؤمن عدوه على ولده وأهله ورغب منه في قبول ذلك "راجع المصدر السابق، ص٢٧١.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٢٢، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٧١، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم عزب، ص٣٨١. القاهرة، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٤م ص٢.

(٣) المراكشى: المصدر السابق.

(٤) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص٣٨١، ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٢٢.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٧١.

(٦) نفسه.

يوسف يعقوب الأخرى[١] وخلط أهله بنفسه[٢] وتعرس بابنته سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م[٣] وكانت تدعى صفية بعد أن وجه إليها ألف دنيار عينا وقال إنما وجهت لها بهذا العدد تأنياً وإنما الصداق الذي أمرنا به هو خمسون ديناراً[٤]، ولما وصلت إليه مع خدمها ونسائها أعطى لكل واحدة منهن بركة كبيرة ووهب للزوجة جميع ما أهدى إليه أخوتها عن فتحة مرسية من الكسي والحلي والخدم وزادها من عنده ما أبهتها[٥] يقول ابن أبي زرع "وصنع لها مهرجاناً عظيماً يقصر اللسان عن وصفة"[٦] واحتل بنو مردنيش المكان الرفيع عند الموحدين بسبب هاتين الزيجتين وبالذات لصفية زوجة أبي يعقوب يوسف التي حسدها أكفاؤها من زوجات الخليفة مما نالته من مكانة عند الخليفة ويسمونها الزرقاء المردنيشية[٧] حيث أنفق لأهلها بها سعد ما أنفق لأحد من ثوار الأندلس فإنهم أخرجوا عما كانوا فيه ثم صاروا أحماء لأمير المؤمنين[٨]، أما هي فقد أنجبت للخليفة أبا العلاء إدريس (٦٢٦-٦٣٠هـ/ ١٢٢٨- ١٢٣٢م) يقول ابن أبي

---

(١) المراكشي: المصدر السابق، ص٢١٠.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٣٥، ابن الخطيب: المصدر السابق.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٣٥.

(٥) نفسه.

(٦) المصدر السابق، ص٢٧٨.

(٧) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٧١.

(٨) نفسه.

زرع[1] بعد أن يذكر نسب الخليفة أبي العلاء "وأمه حرة اسمها صفية بنت الأمير محمد بن سعد بن مردنيش".

والواقع أن قصد الخليفة أبى يعقوب يوسف من وراء هذه المعاملة ودبلوماسية المصاهرة هذه قد أتى أكله، إذ أخلص بنو مردنيش للموحدين بعد أن استعملوهم في شرق الأندلس التى ملكوها فتره طويلة في عهدهم[2]، وكذلك كانوا مخلصين كقادة عسكرين للجيوش والأساطيل[3]، فضلا عن الإدارة في الأقاليم[4]، ولم تظهر منهم بادرة تمرد أو عصيان[5]، ولهذا كانوا عوناً لأصهارهم في حماية الدولة والدفاع عنها، ويكفي للدلالة أخيراً على العلائق الطيبة بين بنى مردنيش والموحدين على إثر تلك المصاهرة من أن الخليفة أبا يعقوب يوسف كان سخياً جواداً مع هلال بن محمد بن مردنيش، إذ أعطاه في يوم واحد ١٢ ألف دينار[6] وله معه كما يقول المراكشى[1] "أخبار عجيبة من تقريبه إياه

---

(١) الأنيس، ص٣٢٧.

(٢) راجع هذه الولاية عند ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٧١-٢٧٤.

(٣) ومن اشهر قادتهم في عصر الموحدين غانم بن مردنيش، وهلال بن محمد بن مردنيش، وأبو العلاء بن مردنيش القائد، راجع ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٤٠، ١٤٣، ١٦٥ على التوالي.

(٤) راجع ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٢٤. ابن خلدون: العبر، م٦، ص٣٠٣.

(٥) إلا ما كان من أرقم بن يحيى بن شجاع بن مردنيش في عهد الرشيد وإلى سجلماسة الذي ما أن أمه الرشيد بجيوشه وتخلى عنه جنده النصارى الذين كان ركن إليهم حتى طلب الأمان ولاذ بالطاعة مرة أخرى ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٦) عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٢١٢-٢١٣.

وإحسانه إليه وحبه له" وأمسكه الخليفة معه "بحاضرته مراكش أثير الرتبه لديه[٢]".

٣-المصاهرات السياسية بين الموحدين وكبار رجال الدولة ومشايخ القبائل:-

إذا كان الموحدون قد أفلحوا عن طريق المصاهرات في استقطاب الأسر الحاكمة التي كان في إمكانها إثارة المشاكل للموحدين في المناطق المفتوحة في المغرب والأندلس. فقد سعوا كذلك مفلحين عن طريق المصاهرات أيضاً لحفظ أمن دولتهم وتسكين الرعية عن طريق كبار رجال دولتهم ومشايخ القبائل العربية والبربرية بل واستخدام هؤلاء في الزود عن تلك الدولة والانخراط في جيوشها المقاتلة للثوار أو للجهاد في سبيل الله بالأندلس، ونذكر في ذلك زيجات ومصاهرات مبكرة مهدت لتوطيد الدولة وسلطة الموحدين بأناس خدموا الدعوة الموحدية واشتركوا في إدارتها حيناً من الزمن مثل زواج والد عبد المؤمن بن على من قبيلة كومية[٣] أدى ذلك إلى تقريب بعض شخصياتها واستعاملها في إدارة

---

(١)عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٧١.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٦٨، ابن خلدون: المصدر السابق، ص٢٨٠، والجدير بالذكر هنا أن البيذق وغيره ينكرون نسب عبد المؤمن بن على إلى هذه القبيلة وينسبونه إلى الأدراسة تارة وإلى النبي صلى الله عليه وسلم تارة ويرجعون نسبه إلى الأصل العربي راجع البيذق:المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار منصور للطباعة، الرباط، سنة ١٩٧١م، ص١٣-١٤ وذلك رغم أن البيذق نفسه في كتاب الأخبار يذكر مقابلته الأولى مع المهدي وذكر نسبه وقريته المنسوب إليها وهي تاجرا

الدولة في عهد ابنه عبد المؤمن بن على مثل عبد السلام الكومى الذي كان يدعى المقرب وذلك لشدة تقريب عبد المؤمن إياه[١]. اتخذه الخليفة وزيراً له رعياً لذمة الصهر السابقة[٢] وساهم مع الخليفة في افتتاح مدن المغرب الأدنى حيث كان قائداً للجيوش التى فتحت أغلب مدنه[٣]، وقد أطلق له الخليفة العنان في التحكم والسلطان حتى ظن الرجل أنه صار له في الملك باع وكثر دلاله على الخليفة لا لشيىء إلا لهذا الصهر يقول ابن عذارى[٤] "وكان السبب الذي كثر إدلال عبد السلام الكومى.. أن كان والد عبد المؤمن تزوج والدة عبد السلام فولدت له ابنه تسمى تندة[٥] فكان يرى لنفسه حقاً ولم يعلم أن الملك عقيم وأن مسراته هموم".

والتي مازالت تحمل نفس الاسم إلى الآن من عمل تلمسان بالقرب من ندرومة وفي الشمال الشرقي من هذه المدينة وعلى نهر يعرف بنهر الفناء حيث ينتمي إلى بنى مجيز بطن من بنى عابد الكومين الذين يقطنون هذه المنطقة راجع: أخبار المهدي، ص٢٦ وهامشها رقم (١) وعلى كل حال رفض هذا النسب العربي أو إلى النبي خاصة والامام على كل من ابن خلدون وصاحب الحلل الموشية والمراكشى وأثبتوا نسبة إلى قبيلة كوميه راجع: ابن خلدون، المصدر السابق، م٦، ص ١٤٩-١٥٠ ، الحلل الموشية، ص١١٧، المراكشى: المعجب، ص١٦٩.

(١) المراكشى: المعجب، ص١٧٠. ابن أبى زرع: الأنيس، ص٢٥٦.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ابن خلدون، المصدر السابق.

(٣) راجع ابن عذارى: المصدر السابق، ص٦٧-٦٨.

(٤) المصدر السابق، ص٦٨.

(٥) والتي تزوجت أحد أفراد البيت المؤمني كذلك ويدعى أبو حفص ولكن ما لبثت أن طلقت منه راجع: ابن أبى زرع: الأنيس ص٢٥٦. والجدير بالذكر هنا أن

ولتخيله بهذه النسبة من المصاهرة القديمة واستعمال عبد المؤمن له أن له الحق في الحكم فاستبد ببعض الأمور وعين أقاربه من كومية عمالاً على الأقاليم والولايات وعلى الأموال وجبايتها[1] وبدأ هو يتصرف في الأموال ويحتجن منها لنفسه الكثير ويتعدى في الغنائم ويحبسها لنفسه فقط وطمح أكثر من هذا في أن يكون له الأمرعلى ما يفهم من كلام ابن عذارى[2]، فحاول الإيقاع بأولاد الخليفة عبد المؤمن أنفسهم بعد أن تغلب على كل الأمور في غزاة أفريقية فطالب أولاد الخليفة بالأموال ونسب إليهم قبيح الأفعال في الراحات والبطالات وأنهم يشربون الخمر، فتأثر الخليفة لذلك وأرسل شيوخ الموحدين ليدخلوا عليهم في مواضعهم دون استئذان ولا مشورة فلم يجدوا شيئاً فأسرها الخليفة وتأكد من تحامل الوزير عليهم وعلى بعض رجاله الآخرين[3]، فصبر الخليفة حتى أتم الغزوة وأثناء العودة وهو في تلمسان تشكى له الناس من عبد السلام وعماله من كومية وظلمهم وتعديهم فأطنبوا في التشكى والتبكى عندئذ أمر الخليفة بعقد مجلس للحكم عليه واستمع شيخ الموحدين كلام الناس فلما تبين لهم وللخليفة ظلم الكومى واستغلاله صله المصاهرة للاستبداد والتعدى والظلم أمر به فسجن بتلمسان وتركه بها ثم أمر السجان أن يعمل له ثردة مسمومة فأكلها ومات من حينه[4]، فلم تنفعه المصاهرة ولم

البيذق ذكرها ترسم "فندة" وهي الأخت الوحيدة لعبد المؤمن وشقيقه يوسف ومحمد من أمهم تعلو الكومية، راجع: المقتبس من كتاب الأنساب، ص١٧-١٨.

(١) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٦٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص٦٧.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٦٨.

تضرعبد المؤمن بل نفعته من استخدام الوزير القائد الذي كانت له الفضل في فتح المغرب الأدنى .

ومن مصاهرات الخليفة عبد المؤمن مع خاصة دولته مصاهرته مع أبى محمد بن بدو الذي أرسله مع ولده السيد الأعلى إلى تلمسان حيث عينه والياً عليها[١]، وإصهاره مع اسماعيل بن يحيى الهزرجى إذ تزوج ابنه أبو يعقوب يوسف من ابنة هذا الرجل بعد مماته وذلك وفاء لهذا الرجل الذي مات بسبب عبد المؤمن نفسه بعد أن بات في خبائه لما علم تآمر أخوة المهدى محمد بن تومرت عليه دون علم عبد المؤمن بذلك فلما مات جزع عليه وزوج ابنه من بنت هذا الرجل الوحيد المسماه فاطمة التى طال عمرها حتى سنه ٦١١هـ/ ١٢١٤م، وقد نال أخوها إسماعيل وابنه يحيى بسبب هذه الزيجة المكانة العالية والجاه العريض في عهد أبى يوسف يعقوب وأبى عبد الله محمد المرتضى الذي قيل عن يحيى بن إسماعيل معه" أن كل أموره ترجع إليه[٢].

ومن مصاهرات الخليفة عبد المؤمن أيضا إصهاره لقاضيه أبى عمر بن موسى بن سليمان[٣] وهو من شيوخ تينملل وأعيانهم وذلك في ابنته التي سماها البيذق[٤] صفية والمراكشى[٥] زينب وهى أم الخليفة من

---

(١) المصدر السابق، ص٥٠.

(٢) المراكشى: المعجب، ص١٩٦.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان، ص٢١٠.

(٤) أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الدار البيضاء، سنة ١٩٧١م، ص٧٧.

(٥) المصدر السابق، ص١٩٨.

بعده إذ أنجبت عمر ويوسف ابني عبد المؤمن[١]، وقد كان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذ تركها لحرب أو غير ذلك ثقه فيه[٢] وقيل أنه كان يستخلفه على تينملل في بداية عهده وذلك لما كان يفتح فاس وتلمسان[٣].

ومن أشهر المصاهرات ذات الطابع السياسي والتي كان لها أكبر الأثر في تاريخ المغرب الإسلامي كله مصاهرة تمت بين الخليفة الناصر الموحدي (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٩-١٢١٣م) وبين الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص الهنتاتى من شيوخ الموحدين، إذ تزوج الشيخ أبو محمد ابنة المنصور وأخت الناصر لدين الله[٤] إذ بعدها ونتيجة لظروف أفريقية فوض الخليفة صهره أمر أفريقية ومنحه جميع السلطات التي خولت له الحكم المستقل في هذه الولاية اعتماداً عليه وثقة فيه[٥] ولكن هذا الحدث بين المتصاهرين كان إيذاناً بميلاد دولة جديدة في المغرب استقلت فيما بعد وكانت أولى الدول استقلالاً عن دولة الموحدين وذلك سنه ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م على يد أبى زكريا بن الشيخ عبد الواحد (٦٢٦-٦٤٧ هـ/ ١٢٢٨-١٢٤٩م)[٦].

---

(١) . المراكشى: المصدر السابق .

(٢) البيذق: المصدر السابق، ص٧٦.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٦.

(٤) راجع أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٧، تحقيق إحسان عباس، سنة ١٩٩٤م، ص١٠، التجانى: رحلته، ص٣٦١.

(٥) ابن خلكان: المصدر السابق، التجانى: المصدر السابق، ص٣٦٢.

(٦) راجع: أبو العباس أحمد بن حسن بن على ابن القنفذ القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة، ١٩٦٨م، ص١٠٨.

ومن المصاهرات السياسية الهامة مصاهرة المستنصر الموحدى (٦١١-٦٢٠هـ/ ١٢١٢-١٢٢٣م) بنو وانودين الهنتاتيين في شخص أبى عبد الله محمد من وانودين وكان من خيار الموحدين وكان قد تركه الناصر الموحدى في أفريقية مع أبى محمد بن أبى حفص، وانتقل بعد وفاته إلى مراكش وارتفعت مكانته عند الموحدين وتولى الوزراة في عهد المعتصم بن أبى زكريا يحيى الناصر (٦٢٤-٦٢٦هـ/ ١٢٢٧-١٢٢٩م) وكان والده قد استكتبه قبل ذلك[١]. وكان معه أثناء نزاعه مع عمه المأمون وأثناء ذلك أصهر إلى بنى مرين في بنت السلطان يوسف المنتصر بالله فزادت حظوته وساد بسببها ولكنه ترك السياسة أثناء الفتنة بين الناصر والمأمون واستقر بجبل هنتاته ثم نظر بسديد بصره الأمور وقرر الدخول في خدمة الرشيد[٢]، فولاه سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م بلاد درعه وولاه الأجناد فظهرت خدمته في تلك البلاد، وما زالت أحواله ترتقي حتى تولى الغرب كله يقول ابن عذاري[٣] "ولاه الرشيد البلاد الغربية وجعل له النظر فيها والتفقد لأحوالها ولأمور ولاتها وعمالها وولاه قبائل غمارة كلها سهلها وجبالها... وفوض الرشيد إليه النظر في تلك البلاد وفي إصلاح حالهم وأمرهم..."، وكان له أثناء ذلك مع قبائل بني مرين وقائع مشهورة مشهودة[٤]، ولكن هذا الصهر عمل في النهاية لحسابه الخاص وأراد أن يكون مثل أبي زكريا الحفصي في البلاد الأفريقية ،

(١) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٥٢.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص٣٥٣.

(٤) علا فيها كعب ابن وانودين حتى اوقعوا به الهزيمة لقوتهم وتماسكهم راجع التفاصيل: المصدر السابق، ص٣٥٣-٣٥٥.

وهو ما علمه الرشيد من خلال عماله الذين كانوا تحت يده في الغرب[١]، وقيل أن الرشيد هو الذي إتهمه بذلك[٢] فخاف ابن وانودين هرب إلى جبل هنتاته وقر قراره هناك[٣]. بعد أن حاول تحقيق طموحات سياسية من وراء مصاهرته بني مرين تقليداً لأبي محمد بن أبي حفص واستقلاله بأفريقية وذلك في إطار استخدام المصاهرة طريقاً لتحقيق أهداف سياسية.

وورد عن الخليفة المأمون الموحدى (٦٢٦-٦٣٠هـ/ ١٢٢٩-١٢٣٣م) أنه أصهر إلى الفقيه أبي العلا إدريس في ابنته فاطمة[٤] وظهر دور هذا الفقيه جلياً وتبوأ المكانة السامية لدى الخليفة الرشيد بن المأمون (٦٣٠-٦٤٠هـ/ ١٢٣٣-١٢٤٢م) الذي اعتمد عليه في كثير من شئون دولته الخاصة والعامة، إذ ولاه العديد من المناطق ومنها مدينة سلا[٥]، وخلفه الرشيد على حضرته مراكش في سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م وذلك أثناء حركته إلى بلاد هسكورة وما والاها وذلك للقضاء على ثورة عمر بن وقاريط الذي قام بدعوة يحيي بن الناصر في هذه المنطقة، فقام أبو العلا إدريس بالمهمة خير قيام فضبط البلد وأحسن السيرة في العامة وأهل التدريس وباشر الأمور بنفسه[٦] بعد أن سكن هو وزوجته أخت الخليفة بدار من دور القصر الخلافي، وكان يجلس غدواً وعشياً للنهي والأمر وباشر كل شئ بنفسه وكفي صهره في غيبته وإعانه في شدته.

---

(١) المصدر السابق، ص٣٥٥.

(٢) نفسه.

(٣) المصدر السابق، ص٣٥٦.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٠٥، ٣٤٤.

(٥) المصدر السابق، ص٣٤٤.

(٦) المصدر السابق، ص٣٠٥.

كما صاهر الخليفة المأمون بني عزوز وهي أسرة موحدية هنتاتيه من أهل تينملل اشتهرت برياستها ومشيختها في تينملل وبرز منها الشيخ أبو علي عزوز من كبار مشايخ الموحدين بها، ووزر البعض الآخر لبني عبد المؤمن مثل أبي زيد عزوز وأخوه أبو إسحاق وأخوه السيد أبو إسحاق وأبو موسى بن عزوز وابنه أبو سعيد بن أبي موسى بن عزوز الوزراء في عهد المرتضى[1]، ويلاحظ أن دورهم السياسي لم يظهر إلا بعد أن صاهر المأمون أحد أفراد أسرتها وهو ابن عزور في ابنته الحرة أمة العزيز عزونة[2] والتي رفعت زوجها مكاناً علياً عند أخيها السعيد (٦٤٠-٦٤٦ هـ/ ١٢٤٢-١٢٤٨م) وكانت السبب كذلك في نكبته ومماته حيث أقدم السعيد على قتله بعد أن أطلعته على براءة وقعت عليها فشكرها ثم أرضاها ويبدو أن البراءة كانت تأخذ من حقها وحق السعيد شيئاً فأمرها برد البراءة إلى مكانها دون أن تعلمه ثم أمر بحبسه بدار الإمارة ولا يعلم أحد في أي وقت لقى حمامه[3]، مما يعني أن هذا الرجل لم يراع أصهاره ولا أخلص لهم وراعي فقط مصلحته الخاصة التي أرادها بلا شك من وراء هذه الزيجة، كما صاهر الخليفة المرتضى هذه الأسرة في شخص أبو موسى بن عزوز الهنتاتي وقد أعطى له

---

(١) راجع ابن عذارى: البيان صفحات، ٣٨٧، ٤٣٨، ٤٢٩، ٤٤٠.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٦٢، ومما يذكر هنا أن عزونة هذه قبض عليها عرب الخلط أثناء خروجهم مع أخيها السعيد لحرب أبى زكريا الحفصى، ولكن ما إن علموا بوفاته أثناء ذلك حتى انقلبوا على محلته نهباً وسلباً واستولوا حين ذلك على أموالها وحليها وذلك سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، راجع هذه الأحداث ابن عذارى: المصدر السابق، ص٤٠٥.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق.

المرتضى أحدى بناته حيث اختاره من بين وزرائه. مع أبي سعيد بن تيجا لمصاهرتهما[١]. وقد ظل هذا الوزير مخلصاً للخليفة المرتضى وذلك حتى خرج عليه أبو العلا الملقب بأبي دبوس ونازعه سلطانه[٢] فأشار عليه وزيره وصهره أبو موسى بن عزوز قائلاً "يا سيدنا رضي الله عنكم حضرتكم المباركة خالية من الأجناد و العدو في الجبل وكان أبو دبوس قد لجأ إلى جبل هسكورة قد ظهر أمره وزاد فابعثوا لأبن وانودين وابن عطوش ليصلا إلى الحضرة فنظره بأقسى نظرة وقال له "لا تدخل نفسك في شئ من ذلك إلا وإن كان وتنفق عليهم من مالك فيصلوا جميعاً من هنالك"[٣] فصمت الوزير أبو موسى ويبدو أن الكلمة نالت من الوزير فأسرها في نفسه حتى كان دخول أبي دبوس إلى مراكش بسهولة فر الوزير إلى جبل هسكورة[٤] وكان قبل أن يهرب إلى الجبل مع المرتضى الذي خرج هو الآخر من مراكش فاراً بنفسه ومعه أبو موسى وابن يعلي الوزيرين لا يعرف يومه من أمسه وأخذ في التدبير مع وزيريه إلى حيث يكون الاستقرار[٥] هنا تحيل الوزير أبو موسى في النجاة بنفسه والوصول إلى جبله قائلاً "عسى يا سيدنا يكون استقرارك بالجبل عندنا وفيه يقع التدبير ووجه العمل[٦] وعلق ابن عذاري[٧] على ذلك قائلا"

---

(١) المصدر السابق، ص٣٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص٤٣٤ وما بعدها.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٤٣٦-٤٣٧.

(٤) المصدر السابق، ص٤٣٩-٤٤٠.

(٥) المصدر السابق، ص٤٤٠.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

وذلك منه إليه أكبر الحيل لأنه كان في اختياره أن يصل إلى جبله وأهله وديارة"، ولما وصل أبو موسى إلى جبل هسكورة تاركاً المرتضى وجد هناك ابنه أبا سعيد قد سبقه فراراً أو أعلم أهل جبله بكل صغيرة وكبيرة وعرفهم بالخبر[١]، وما لبث أن جاء إليه المرتضى فأبى أهل الجبل قبوله والمقام عندهم قائلين لأبى موسى وابنه " قد كتبنا لأبى دبوس بمبايعته والدخول في طاعته فكيف يقيم هذا عندنا بعد ذلك"[٢] فأمتنع أبو موسى من الرجوع إلى المرتضى الواقف خارج الديار، فلما تبين له الموقف تنقل هو وولديه والوزير ابن يعلى كثيراً[٣] حتى فكر في أصهاره من جدميوه وكان قد فر إليهم وزيره أبو زيد الجدميوى فراسله فمنع من اللجوء إليهم[٤]، فاحتار المرتضى فيما يفعل فلجأ إلى قواده فعلم أنهم انضموا إلى أبى دبوس[٥]، عندئذ لم يكن هناك ملجأ إلا صهره والى مدينة أزمور الذي فداه من بنى مرين بمال كبير وكان قد أسر من قبل وهو ابن عطوش[٦] فقال له وزيره أبو زيد بن يعلى: "يا سيدنا عبدكم أعلم منكم بعبد العزيز وقلة دينه وعدم وفائه وعبدكم يعرف حاله في قبح أعماله الدنية وأفعالة فنخاف يا سيدنا عليكم من قبح فعله إليكم". فقال: حاشى لله أن يفعل ذلك معنا نحن فديناه بأموالنا وقدمناه على بلادنا.

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٤٤٠.

(٢) نفسه.

(٣) المصدر السابق، ص٤٤٠-٤٤١.

(٤) المصدر السابق، ص٤٤١.

(٥) نفسه.

(٦) ابن خلدون: العبر م٧، ص٢١٢، العباس بن إبراهيم :الإعلام، ج٣، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، سنة ١٩٩٧م، ص١٤.

فودعه الوزير وتركه وأولاده[١]. فلما وصل المرتضى إلى أزمور أعلم البواب بوصوله ليعلم سيده أبا فارس ابن عطوش فانتظر عند الباب إلى منتصف الليل حتى انقطع أمله وترك المدينة لا يعلم له مسلك يتخبط لا يعرف طريقاً ولا يألف خلاً ولا صديقاً[٢] ولا حتى صهراً بل أن صهره وعامله ابن عطوش كتب بالبيعة لأبي دبوس[٣] وركب موجة المصالح واللعب بالغالب وأبلغ أبا دبوس بأمر المرتضى فأمره بالقبض عليه وأرسل إليه من يساعده في ذلك فقبض عليه ابن عطوش وأرسله إلى أبي العلا بن أبي دبوس[٤] ووقع التدبير بقتله قبل أن يصل إلى مراكش فتم ذلك لتخلص له الخلافة[٥]، هكذا لم يستفد المرتضى بمصاهراته السياسية المتعددة ولا رعى لها أصهاره حرمة وتركوه ساعة الجد ووقت الشدة مما يقنع أن المصاهرات السياسية لم تكن تؤدي أهدافها إلا للطرف الأقوى الذي يستطيع من خلالها تحقيق مآربه الشخصية وأهدافه الخاصة سياسية كانت أوغير ذلك. فها هو المرتضى استفاد منه ومن مصاهرته أسر وأناس من خاصته فكان منهم الوزير وكان منهم الوالي ولما صار في شدة وكرب ولجأ إلى أصهاره تخلو عنه وتركوه بلا خل ولا صاحب لم يراعوا فيه ذمة الصهر ولا تفضيله إياهم ببناته وإنما وضعوا أهدافهم في الرياسة والتملك نصب أعينهم ضاربين عرض الحائط براوبط المصاهرة بمايؤكد أنهم لم يقدموا إليها أو يقبلوها إلا لتحقيق تلك الأهداف

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٤٤١.

(٢) المصدر السابق، ص٤٤٢.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق.

والمآرب السياسية استغلالاً لتلك الخلافات السياسية في البيت المؤمنى وكثرة الطالبين للعرش والثائرين على من يتولوه ومسارعة أغلبهم بتكوين عصبية له تساعده في نيل العرش والمحافظة عليه من خلال تلك المصاهرات السياسية والتي استغلها الطرف الآخر لحسابه كما رأينا في عصر المرتضى وكان الحال كذلك في عصر الواثق أبي دبوس آخر الخلفاء الموحدين والذي زوج إحدى أخواته من السيد أبي عمران[١]. كما زوج إحدى بناته لأبن أخته السيد أبي زيد عبد الرحمن بن أبي عمران[٢]، لذا قال ابن عذاري[٣] عنه" كان ابن أخته وصهره" ، وقربه إليه جداً حتى صار من كبار رجال دولته والمعين له في تثبيت أركان دولته المتداعية والتخلص من منافسيه من بنى المنصور الموحدي[٤] وكان واليه على تانسيفت قريباً من الحاضرة[٥]، وقد ساعده جدياً في التخلص ممن دبر للإطاحة به من بني عبد المؤمن وهو السيد عبد العزيز بن السعيد فقبض عليه احتيالاً وقدمه للواثق الذي تخلص منه قتلاً"[٦] ولكن أنى لدولة كثرت مشاكلها وأضطرب أمرها وأنقسم أفرادها على أنفسهم وتقاتلوا فيما بينهم أن تستمر ولم يخلص لهم أشياعهم وأصهارهم إلا في القليل النادر بل عملوا في النهاية لمصالحهم الخاصة وأهدافهم السياسية ، أنى لتلك الدولة الاستمرار في ظل وجود قوى متربصة

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٤٥٢.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) المصدر السابق، ص٤٥٢-٤٥٣.

ومتمرة بها أطاحت بها في النهاية وتقاسمت أرضها فكان المغرب الأوسط من نصيب بني عبد الواد في حين استأثرت قبائل بني مرين بالمغرب الأقصى مقر الدولة ومكان حاضرتها، في حين استقل الحفصيون بالمغرب الأدنى من قبل وارثين إياها .

والخلاصة في مصاهرات بني عبد المؤمن لغيرهم أن بعضها القليل قد أتى أكله وأثمر بعد أن استغلها الموحدون أفضل استغلال تحقيق الأهداف المرجوة من ورائها وذلك طالما أن الخليفة والأسرة المؤمنية قوية متسلطنة يتحكمون في الأمور ويسيطرون على الإدارة ويمسكونها بيد حديدية وأوامر نافذة وإجراءات صارمة وقمع شديد لكل من تسول له نفسه حتى التفكير في مشاركتهم هذا الملك أو الخروج عليهم والعمل لذاته ومصلحته، ولكن تلك المصاهرات فقدت معناها وانماعت أهدافها بل وتلاشت عند الموحدين أواخر الدولة الموحدية وكانت وبالاً عليهم، خيراً لأصهارهم الذين استغلوا تلك المصاهرات لبناء أمجاد شخصيه على حساب الموحدين أنفسهم الذين كثرت مشاكلهم الداخلية وحارب بعضهم بعضا، مما سهل على الطامعين من الأصهار في الملك في الاستفادة إلى أقصى درجة من هذه المشاكل لتحقيق ما يصبو إليه طارحين روابط المصاهرة جانباً إذا عن لهم عدم نفعها متمسكين بها إذا رفعت من شأنهم.

ثالثا:المصاهرات السياسية في عهد ورثة الموحدين

إذا كانت الدولة الموحدية أفلحت من وراء دبلوماسية المصاهرات تحقيق وحدة شاملة للمغرب والأندلس، وقوت من نفسها داخلياً وخارجياً ضد نصارى الأندلس فإن الدول الوارثة لها في المغرب لم تفلح أبداً في تحقيق هذه الوحدة الشاملة حتى على مستوى بلاد المغرب فقط إلا لفترات

محدودة جدا وإن كانت كل منها تسعى للتوسع على حساب جيرانها أو بالمقابل تحافظ على أراضيها من اعتداءات جيرانها وأطماعهم التوسيعية. ولهذا كثرت بينها المشاكل والمنازعات السياسية فكثيراً ما ألتقت الجيوش ودارت رحى الحروب بين هؤلاء الجيران نتيجة لذلك. ولكن بعض حكام هذه الدول فكروا في التعايش السلمي والبعض الآخر فكر في التوسع على حساب جاره عن طريق التعايش السلمي أيضاً وكلاهما اتخذ من دبلوماسية المصاهرات طريقاً لتحقيق هذا التعايش القانع أو تعايش الطامع، ولكن قبل أن نبدأ في رصد هذه المصاهرات وأثرها على الحياة السياسية في العلاقات بين هذه الدول ومدى نجاحها لابد من الوقوف على مسلك هؤلاء الحكام في إقرار الأحوال السياسية داخلياً وذلك بإصطناع رجال الدولة ومشايخ القبائل العربية والبربرية ومحاولات استقطابها أو استيلافها من خلال المصاهرات السياسية ايضا.

١- المصاهرات السياسية بين البيوتات الحاكمة وكبار رجال الدولة ومشايخ القبائل البربرية والعربية:-

أما بالنسبة لكبار رجال الدولة من الإداريين فأغلبهم كان من الذين أفرزتهم المصاهرات السياسية بين حكام الدول التي ورثت الموحدين وبين القبائل العربية والبربرية وذلك في إطار سياسة هذه الدول لتثبيت حكمها واستمراره واستقراره أيضاً ومن هنا لجأت إلى الإصهار إلى تلك القبائل وإلى كبارها ومشايخها خاصة الذين كان لهم دور في سياسة هذه الدولة أو أن تلك المصاهرة كانت مع المشايخ وضمنت الدول بها محالفة هذه القبيلة، والواقع أن هذه المصاهرات أفرزت رجال أسهموا في إدارة الدولة من خلال استخدامهم كحلفاء مخلصين للدولة وللبيت الحاكم وباعتبارهم إصهاراً. ومن أشهر

المصاهرات السياسية بين بنى حفص حكام بجاية وبين البربر من بنى تافراجين[١] وهم من بيوت الموحدين في تينملل كان لهم شأن في الإدارة والولاية للأقاليم أيام الموحدين[٢] وكان منهم عظماء في الدولة وكبراء في المشيخة على حد قول ابن خلدون[٣] ولذا كان طموحهم السياسي سبباً في أن يتركوا المغرب الأقصى ويستقروا عند الحفصيين بأفريقية وذلك في عهد المستنصر بالله حيث نزل عليه عبد الحق وبني أخيه عبد العزيز أحمد ومحمد وعمر الذين بوأهم المستنصر (٦٤٧-٦٧٥هـ/١٢٤٩-١٢٧٧م) المكانة العالية[٤] وسرح كبيرهم عبد الحق لمعالجة بعض الأدواء وفض بعض الخلافات وحسم العلل ثم ولاة بعد ذلك بجاية فاضطلع بها[٥] ولم يزل هذا الرجل معروفاً بالرياسة مرموقاً بالتجلة إلى أن هلك[٦] أما بنو أخيه فنزلوا بتونس خير منزل وغذو بلبان النعمة والحياة فيها وولى كبيرهم أحمد للسلطان أبي حفص عمر (٦٨٣-٦٩٤هـ/١٢٨٤-١٢٩٥م) قفصه ثم المهدية ثم استعفى فأعفي وكان السلطان أبو عصيده (٦٩٤-٩٠٧هـ/ ١٢٩٥-١٣٠٨م) يستخلفه على

---

(١) عن أولية هذا البيت ودوره السياسي والحضاري راجع كمال السيد أبو مصطفى: بنو تافراجين ودورهم في تاريخ الدولة الحفصية (٦٤٧-٨٣٧هـ / ١٢٤٩-١٤٣٤م)، ضمن كتابه دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الأسكندريه للكتاب، بدون، ص٣ وما بعدها.

(٢) ابن خلدون: العبر م٦، ص٤٤٥.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) المصدر السابق، ص٤٤٦.

(٦) نفسه.

الحضرة إذا خرج حتى هلك سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م[١]. وخلفه في الرياسة ابناه أبو محمد عبد الله وأبو العباس أحمد وتصاهرا مع كبار رجال الدولة[٢] وارتفعت مكانتهما حتى وصل أبو محمد عبد الله منهم إلى الحجابة في عهد الخليفة الحفصي أبي بكر بن يحيى(٧١٨-٧٤٧هـ/١٣١٨-١٣٤٦م)[٣] وأبى العباس إلى الوزارة أيضاً ولكن الوزير أبو العباس هلك بعد قليل[٤]، واضطلع أبو محمد عبد الله لدور سياسي كبير وطموح حتى أثناء الصراع مع المرينيين لما وجد لهم غلبه على بني حفص فتعاون معهم من أجل أن يحل عندهم في نفس المكانة التي تمتع بها في دولة بني حفص من التحكم بل والاستبداد ولكن آماله وطموحاته السياسية لم تتحقق مع المرينيين[٥] ولذا ما إن انتهى عهدهم بأفريقية حتى عاود الاستبداد على بني حفص في شخص سلطان بجاية أبي إسحاق[٦] (٧٥٨-٧٧٠هـ/ ١٣٥٧-١٣٦٩م) ولما جاء هذا السلطان ليحل هذا الاستبداد وتحين لحاجبه المستبد هذا تلقاه أبو محمد عبد الله بن تافراجين بترحاب أنساه ما أتى من أجله يقول ابن خلدون[٧] " فكايله بصاع الوفاق وصارفه نقد المصارفة وازدلف بأنواع القربات وقاد إليه

---

(١) . ابن خلدون: المصدر السابق .

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٤٦.

(٣) المصدر السابق، ص٤٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص٤٤٩-٤٥٠.

(٥) أبن القنفذ: الفارسية، ص١٧٤.

(٦) عن مظاهرة الاستبداد راجع الزركشي: المصدر السابق، ص٩١-٩٢، ابن أبى دينار: المؤنس، ص١٤٩.

(٧) المصدر السابق، ص٤٧٩.

الجنائب ومنحه من الذخائر والأموال وتجافي له عن النظر في الجباية " بل وأكثر من هذا تهدئة لنفسه الثائرة وخاطره المنشغل أصهر إليه في كريمته فعقد له عليها وأعرس بها السلطان[١]" وقرأ صداقها في عام ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م وقد عد اثناعشر ألفاً من الدنانير الذهبية والفين وثلاثون خادماً مولدات وأعجميات، واحتفل لذلك غاية الاحتفال ووضع من الطعام ماعم الناس[٢]. وقد أثر ذلك في السلطان حتى أن الرجل لما توفي سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م وجم عليه السلطان وشهد جنازته وقام باكياً على قبره وحاشيته يتناولون التراب حثيا على جدثه فغرب في الوفاء معه بما تحدث به الناس[٣]، وأقام بعد ذلك السلطان بدون حاجب وأقام سلطانه بنفسه ، وقد حقق هذا الرجل ما تمناه من وراء السياسة ومصاهرة السلطان الذي أحب تدمير استبداده ولم يستطع إلا بقدر الموت، وكان ولده أبو عبد الله مثله في الطموح واتساع الآمال فما أن ولاه أبو إسحاق حجابته حتى حاول الاستبداد بالسلطان ونكر مباشرة السلطان للناس ولم يرض بذلك لما ألف من الاستبداد منذ عهد أبيه، عندئذ أظلم الجو بينه وبين السلطان[٤] فتنكر وخرج الحاجب من تونس إلى قسنطينة واتصل بأبي العباس الحفصي مرغباً إياه في ملك تونس مستحثاً له على ذلك نكاية بأبي إسحاق الذي لم يتح له الاستبداد[٥]. ومازال بأبي العباس حتى

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٧٩. الزركشي: تاريخ، ص١٠١.

(٢)ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، سنة ١٩٨٤م، ص١٠٥

(٣) ابن خلدون :المصدر السابق، ص٤٧٩، الزركشي: المصدر السابق، ص١٠٢.

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق.

(٥) نفسه.

أخرجه إلى قسنطينة بعد وفاة أبي إسحاق وولاية ابنه خالد الذي لم يبلغ الحلم والذي اختلف عليه أهل مملكته وأرسلوا إلى أبي العباس لما شاع عنه من عدله ورفقه وحميد سيرته[١] كما أرسل إليه كذلك أهل قسنطينة التي أرسله إليها ليختبر طاعتهم.[٢] ثم عاد ليدخل مع السلطان أبي العباس تونس ليستبد السلطان بأمره ولم يعطه الفرصة في ذلك بل عين أخاه الأمير أبا يحيي زكريا على حجابته وجعل ابن تافراجين رديفه في ذلك[٣] وهو ما لم يعجب ابن تافراجين الذي داخل بني حمزة وقائدهم منصور بن حمزة في ثورتهم على أبي العباس في تبيين البلد وكشفه فقبض عليه وسجنه بقسنطينة حتى توفي سنة ٧٨٨ هـ/ ١٣٨٦م[٤] ولم ينجح هذا البيت في الاستمرار على الاستبداد ببنى حفص حتى ولو كانوا أصهار السلاطين منهم.

ومن المصاهرات المرينية البربرية المشهورة مصاهرة عبد الحق باني مجد هذه الأسرة المرينية من بطوية الزناتية حيث أصهر إلى بني محلي منهم وإلى كبيرهم محلي في ابنته أم اليمن والتي أنجبت له ولده السلطان يعقوب بن عبد الحق[٥] وكان لزواجها من عبد الحق الأثر الكبير في رفع مكانة قومها بطوية في الدولة المرينية وبني محلي منهم خاصة

---

(١) المصدر السابق، ص٤٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص٤٨٥.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٨٦، ابن الشماع: الأدلة البينة، ص١١٠.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٨٧. راجع كذلك الزركشي: المصدر السابق، ص١٠٨ ابن الشماع: المصدر السابق ، ص١١٠.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق، م٧، ص٢٣٧ راجع ابن أبى زرع: الذخيرة السنية، ص٦٧، ٨٥.

إذ صار لهم دالة على السلاطين لخوءولتهم ووشيجة القرابة[١] فما إن استولى عبد الحق على مراكش إلا وعقد لمحمد بن علي بن محلي على جميع أعمالها فكان له بها مقامات محمودة وحكمها من ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م إلى ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م[٢]. كما كان لهم دور مشهود في علاقة المرنيين بالأندلس النصرية[٣].

ومن المصاهرات المرينية البربرية أيضاً مصاهرة الخليفة أبو يعقوب يوسف بن يعقوب لقبيلة مغراوة البربرية إذ وفد زعيم تلك القبيلة ثابت بن قنديل سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م ودخل على السلطان وحالفه ثم أصهر إليه في حفيدته فعقد عليها السلطان وأعرس بها سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م وأخلص هذا الزعيم لبني مرين[٤] وما ذلك إلا لما لقاه من بني عبد الواد وعثمان بن يغمراسن (٦٨١-٧٠٣هـ / ١٢٨٢-١٣٠٣م) من عنت ومشقة حتى تنازل له عن مناطق كثيرة من بلاده ولكن لم يقتنع إلا بأن تكون بلاد مغراوة جميعها ضمن دولته[٥]. ولهذا ارتمى في أحضان بني مرين وصار ألبا لهم على بني عبد الواد[٦] ولكن بعد وفاته اختلفت مغراوة مع بني مرين، وشذت عن الطاعة ولذا لما تغلب الخليفة على بلاد بني عبد الواد جهز جيشاً وحركه إلى بلاد مغراوة فشردهم هذا الجيش فاعتصم شيخهم وزعيمهم راشد بن محمد بن ثابت صهر السلطان

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٣) راجع التفاصيل: ابن خلدون: المصدر السابق، ص٢٣٧ وما بعدها.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٢٦٢.

(٥) المصدر السابق، ص١٠٩.

(٦) المصدر السابق، ص١١٠.

بمليانه ثم استنزل على أمان طلبه سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م وأوفدوه إلى السلطان فتلقاه بصبره وتكرمة وخلطته بجملته وذلك لمكان صهره معه[١] ولاذت مغراوة بعد ذلك بالطاعة وعقد عليهم السلطان لعمر بن ويغرن بن منديل منهم فأسف لذلك راشد بن محمد لمكانه من الاختصاص والصهر عند السلطان ولذا خرج على السلطان وهرب إلى بلاده قائماً بالثورة استمرت طويلاً تابعه فيها السلطان بالجيوش التي كان تتبادل معه النصر والهزيمة[٢] ورغم ذلك كان السلطان يستقبل من يأتيه طائعاً من مغراوة من حلفاء راشد بلقاء مبرة وتكريماً وذلك تأنيساً لراشد المنتري ورعياً لصهره كذلك وأخته المحظية عند السلطان والمكرمة لديه[٣] وراشد مستمر في ثورته إلى أن ضيق عليه السلطان حتى رغبه ومن معه في السلم الذي بذله لهم ولكنه فل حدهم وفرق شملهم بأن أرسل منيف بن ثابت عمه إلى الأندلس مع بنيه وعشيرته فاستقروا بها إلى آخر الأيام دون تمرد أو عصيان وألحق راشد نفسه ببلاد الموحدين[٤]، ثم وفد عليه منهم محمد بن عمر بن منديل سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م فأوسعه حباً وتكريماً، وبهذا تمهدت له بلاد مغراوة وأطاعته[٥]. والناظر في تلك الأحداث ليرى بوضوح أهداف تلك المصاهرة السياسية للمغراويين من بني منديل الذين يريدون التملك في بلادهم والمرينيون الذين استخدموا هذا الإصهار لإقرار الأمن في دولتهم عن طريق أصهارهم حتى ولو لم

---

(١) المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٥) نفسه.

يستخدموهم . زد على ذلك خشية الطرفين من نظر بني عبد الواد لهذه البلاد لقربها منهم، ولهذا ارتبط بني منديل ببني مرين وحرص بنو مرين في أن تظل الرياسة في هذا البيت وتحقق لهم ذلك حتى ضعفت دولتهم وقضى السلطان الزياني أبو ثابت على بيت بني منديل وفرق شملهم في عهد زعيمهم على بن راشد[١]. كل هذا يثبت الأهداف السياسية المرجوة من وراء المصاهرة التي تمت بين الطرفين. كما صاهر المرينيون من بيت عبد الحق إخوانهم من بني عسكر منافسيهم مع رئاسة بني مرين منذ القدم[٢]، تلك المنافسة التي استمرت فترة طويلة حتى سلم بني عسكر بالرئاسة لبني عبد الحق ومن هنا كان التقارب الذي تأخر إلى عهد السلطان أبي الحسن المريني الذي أقدم على الزواج من ابنة يحيى بن سليمان كبير بني عسكر[٣]، وأنزل إياها منزلة عالية وأعطاه قيادة جيوشه بعد أن صحبه في رحلته إلى تونس حيث استطاع يحيى بن سليمان افتتاح تونس بهذه الجيوش ومهد دخول أبي الحسن إليها[٤]، هو الذي افتتح له بلاد صنهاجه الشرق "المغرب الأوسط" أو البلاد الشرقية، مصراً مصرا وطوعها له ونظم البلاد في طاعته[٥] ولا يخفى على كل ذي لب هدف أبناء العشيرة من وراء هذه المصاهرة اجتماعياً وسياسياً.

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٣-١٤٤.

(٢) راجع ابن أبى زرع: الذخيرة السنية، ص٢٠.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٢٠.

(٤) السلاوى: الاستقصا، ج١، ص١٢٤.

(٥) نفسه.

وأشهر من صاهرهم البيت المريني بيت بني عبد الحق، أبناء عمومهم من المرينيين أيضاً وهم بني يابان[1] الذين لم يكن لهم رياسة قبل عهد السلطان أبى عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/ ١٣٤٨-١٣٥٧م)، حيث كان منهم الوزير عبد الله بن علي بن سعيد اليابانى[2]، ويقال أن ابنه عمر كان حاجباً للسلطان أي عنان كذلك[3]، ولكن ألمت به محنه في عهد السلطان أبي سالم (٧٦٠-٧٦٢ هـ/ ١٣٨٥-١٣٦٠م) بعد وفاة والدة حمل بعض الوشاة السلطان أبا سالم على النيل من عمر فاستجار بالوزير ابن مرزوق محمد بن أحمد[4] الذي ألقى السلطان بزمام الدولة بين يديه

---

(١) حيث يلتقيان وبنى عبد الحق عند جدهم الأعلى جرماط بن مرين الذي أنجب فجوس وهو جد بنى عبد الحق الأعلى ويابان جد بنى يابان الأعلى راجع ابن أبى زرع: الذخيرة السنية، ص٢٠٠.

(٢) ابن الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر: النفحة النسربثية واللمحة المريئية تحقيق عدنان محمد آل طعمة، سوريا، دمشق، سنة ١٩٩٢م، ص٥٢.

(٣) نفسه.

(٤) ابن مرزوق الخطيب: هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى البربرى، ولد بتلمسان سنة ٧١١ هـ/١٣١١م من أسرة ذات أصل قيرواني، انتقلت إلى تلمسان خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وتفرق أفرادها في المغرب الأوسط، وشب ابن مرزوق الخطيب وترعرع في تلمسان ثم سافر مع والده للحج في سن مبكرة وهناك حيث تلقى زاد العلم على كبار مشايخ الشرق، وهناك حيث قرر الوالد الاستقرار في بلاد الحجاز استأذنه الابن العالم بالرجوع إلى المغرب فعاد إلى المغرب حيث وصلها بعد أن استولى أبو الحسن المريني على تلمسان وهنا حيث اشتد حفظ الشاب متنوع العلم والمهارات والمعارف حيث عرف بين الناس بالخطيب حيث شهر بأنه خطب على ٤٨ منبراً في الإسلام شرقاً وغرباً واندلسا، ولم يتفرغ ابن مرزوق للعلم والخطابة فقط بل شارك في السياسة وخدم ملوك بنى مرين وبنى

فأقاله من محنته هذه بل ورفع عند السلطان رتبته وحمل السلطان على الإصهار إليه بأخته[١]، فتم ذلك وقلده السلطان أمانة البلد الجديد دار ملكه، ولما أطلع الوزير على مرض القلوب والنكير على الدولة على حد قول ابن خلدون[٢] انتهى تفكيره إلى التوثب على السلطان ونفذ ذلك واستبد بأمور البلاد ولكي يكون له عصبة وأشخاص يعتمد عليهم سلك طريق المصاهرة مع بعض رجال الدولة مثل الوزير مسعود بن رحو بن ماساي[٣] وذلك "تسكيناً لغربه واستخلاصاً لمودته"[٤] ومارس الاستبداد الكامل على الخليفة الموسوس تاشفين بن السلطان أبي الحسن. بل من استعان بهم في سبيل الوصول إلى ما هدفه نكبهم في أنفسهم[٥].

زيان وبني حفص وكذلك بنى الأحمر في تاريخ طويل حافل وانتهى به المطاف في قاهرة المعز حيث توفي بها سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م عن حياته وآثاره العلمية ونشاطه السياسي راجع ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبو الحسن، القسم الأول من التحقيق لماريا خيسوس ببغيرا بعنوان ابن مرزوق حياته وآثاره، ص١٢ وما بعدها.

(١) راجع، ابن خلدون، العبر، م٧، ص٣٧١.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، ص٣٧١.

(٣) وهو من بنى فودود بنى عمومه أيضا لبنى مرين، وهذا الوزير يقول عنه ابن الخطيب وأقام أبى عمر بن عبد الله في رسوم الوزارة صهره ومنتشله من الهفوة مسعود بن رحو بن على الفودودي ووسطه الناس واحتجب عن الناس راجع: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج٣، تحقيق السعدية فاغيه، الرباط، سنة ١٩٨٩م، ط١، ص٧٤.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق.

(٥) مثل غرسيه بن انطول Garcia Antonio قائد جند النصارى والوزير ابن مرزوق الذي غيب عن الساحة كما سجن وزيراً أبى سالم الآخرين سليمان بن دواود

ولكن لما أمر بسجن الوزراء سجن ابن ماساي بداره "صيانة عن الامتهان لمكان صهره ولما كان يأمل منه من الاستظهار على أمره بعصابته من الأبناء والأخوة والقرابة"[1].

وفي عصر استبداد الوزراء هؤلاء بسلاطين بني مرين حرصوا على أن يختلطوا ببني مرين عن طريق المصاهرات من نساء البيت المريني دون اعتبار لسلطان أو زعامة. وتم ذلك لضعف السلاطين ومحاولاتهم إرضاء أولئك الوزراء والحجاب المستبدين فلما تقاسم الوزير عمر بن عبد الله وعامر بن محمد الهنتاتي السلطة في دولة بني مرين يسرع الثاني بالاصهار إلى بني مرين ويتزوج ببنت السلطان أبي يحيى المتوفى عنها السلطان أبو الحسن المريني[2] وقد أقلقت هذه الخلطة وهذه السيطرة السياسية باسم القرابة والمصاهرة بعض ذوي النخوة من بني مرين وخشوا خروج الأمر من أيديهم فهموا محاولين إيقافها فعندما تقلد السلطان أبو فارس عبد العزيز السلطنة (٧٦٧-٧٧٤هـ/ ١٣٦٥-١٣٧٢م) وسمع أن الوزير المستبد عمر بن عبد الله يفكر في الزواج بإحدى بنات السلطان أبي عنان ليزداد بها استبداده وقد عرض مقابل ذلك أن يرفع

ومسعود بن رحو راجع ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٧٢-٣٧٤. السلاوي: الاستقصا، ج٤، ص٣٨-٣٩. كحلاوي غازي: الأثر السياسي والحضاري لنفوذ الوزراء في العصر المرينى الثاني، ٧٥٩-٨٦٩ هـ/ ١٣٥٧-١٤٦٥م رسالة ماجستير غير منشورة بآداب المنيا، ٢٠٠٦، ص٤٧ وما بعدها.

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٧٢-٣٧٣. راجع كذلك السلاوي: المرجع السابق، ص٤١.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٧٨، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ج٣، ص٧٠-٧١.

أخاها على العرش المريني بدلاً من السلطان عبد العزيز[1]، عندئذ أدرك السلطان أن مصيره محتوم وحتفه بات قريباً فأسرع بتدبير أمره وإفشال تلك المصاهرة بأن تخلص من الوزير المستبد[2] الذي أراد استغلال المرينيات إلى أقصى حد لتحقيق مآربه السياسية، والواقع أن السلطان عبد العزيز غريب في وقت سيطر فيه الاستبداد على سلاطين بني مرين ولم يعد لهم التحكم والسلطان بل صار هذا الأمر في أيدي وزرائهم وحجابهم الذين ارتبطوا كما رأينا بروابط المصاهرة رعياً لمصالحهم وتآزراً على التحكم والاستبداد ودرءاً لمخاطر قد يتعرضوا لها من جانب بني مرين وسلاطينهم، فلما حاول السلطان موسى بن أبي عنان (٧٨٦-٧٨٨هـ/ ١٣٨٤-١٣٨٧م) أن يتخلص من استبداد الوزير مسعود بن رحو بن ماساي بعد أن ضاق ذرعاً بهذا الاستبداد وحدثته نفسه بالفتك بالوزير والتخلص منه وتحدث مع ندمائه بالقصر في هذا الأمر غير أن أحد الوزراء وهو العباس بن عمرو بن عثمان أطلع الوزير مسعود على نية السلطان موسى وقد كان سبب إفشاء العباس بن عمرو سر سلطانه هو أن مسعود بن رحو كان زوج أم العباس إذ تزوجها بعد أبيه وتربى العباس في حجر مسعود بن ماساي[3]، عندئذ تغذى الوزير المستبد

---

(١) المصدر السابق، ص٣٨٣، العباس بن إبراهيم: الإعلام، ج٨، ص٤٠٥.

(٢) وذلك بأن أكمن أبو فارس عبد العزيز بزوايا داره رجالاً ثم استدعى الوزير للتشاور فلما دخل أغلق الموالي من الخصيان أبواب القصر ثم أغلظ له السلطان وخرج الكامنون وتناولوه هبراً بالسيوف راجع ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٨٣.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤١٨-٤١٩. كحلاوي غازي: المرجع السابق، ص٧٢.

بالسلطان قبل أن يتعشى به عن طريق أخوته في القصر وعلى رأسهم يعيش بني رحو[1]. وكل ذلك محصلة لمصاهرات ابتغت أطرافها المصالح الخاصة وتحقيق المآرب السياسية في التحكم أو حتى الاستبداد.

أما بالنسبة للقبائل العربية التي انتشرت ببلاد المغرب بعد الغزوة الهلالية وشاركت في تشكيل التاريخ المغربي، فقد حرص حكام المغرب في الدول الثلاث على مصاهرة هذه القبائل لنفس الأسباب التي ذكرناها في أسباب حرص الحكام على مصاهرة القبائل البربرية ولكن نسبة زواج أولئك الحكام ومصاهراتهم للقبائل العربية كانت أكبر بكثير وذلك أيضاً لزيادة عدد الأهداف المرجوة من وراء هذه المصاهرات التي لم تكن إلا للمصالح السياسية ومن أهم هذه الأهداف من وراء تلك المصاهرات إثبات النسبة العربية[2] وبالذات للنبي(ﷺ) أو للإمام علي أو لعمر بن الخطاب حتى تضفي على نفسها الشرعية أمام الرعية بإدعاء الأمل العربي أو النسب النبوي أو العلوي. وذلك في إطار المنافسة بين هذه الأسر الحاكمة في التمكين لنفسها والتوسع على حساب جيرانها إن

---

(١) المصدر السابق، ص٤١٩.

(٢) ولم يكن ذلك فقط بالنسبة لهذه الأسرات الثلاث التي نتناولها بالدراسة بل كان ذلك لكل الأسرات الحاكمة ببلاد المغرب وبالذات من البربر، عن هذا الموضوع راجع: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٩٩٩، ط٢، ص٤٠، على حامد الماحى: المغرب في عصر السلطان أبى عنان المرينى، بحوث جامعية سنة ١٩٨٦م، ص٤٠، محمد شقرون: البيئة الغربية ومظاهرها الثقافية في عصر بنى مرين، مجلة دعوة الحق، العدد ٨ السنة ١٠، ص٩٧.

استطاعت ذلك. فمن المعلوم أن هذه الدول كلها بربرية فحاولت أن تجد لنفسها أنساباً عربية مرتبطة مع رسول الله (ﷺ)أو تصل به إلى الإمام على بن أبي طالب كبني مرين[١] وبنى عبد الواد الذين أدعو النسب إلى الإمام علي والعلويين[٢] ،والحفصيين الذين انتسبوا في العرب وإلى سيدنا عمر بن الخطاب خاصة وقالوا بأنهم حفصيون نسبة إلى كنيته رضي الله عنه وهي أبي حفص[٣]، ومن أجل اثبات هذه النسبة وتأكيدها أمام الرعية حرص أفراد هذه البيوت الحاكمة على مصاهرة القبائل العربية، ولذا نجد الحفصيين يصاهرون قبائل المغرب الأدنى العربية بل وحرصوا على إرضاء كل القبائل حتى تتعايش معهم سياسياً ولأن

(١) راجع محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح، ص١٠٩، مجهول: الحلل الموشية، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) راجع أبو زكريا يحيى بن أبى بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون: كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك بنى عبد الواد، المجلد الأول، تحقيق ألفريد بل،الجزائر١٩٠٣، ص١٠١-١٠٢، م ٢الجزائر١٩٠٠، ص٨، ١٣.راجع تفنيد ذلك ودحض هذا الإدعاء ابن خلدون :المقدمة ،ج٢تحقيق علي عبد الواحد وافي ،مكتبة الأسرة ٢٠٠٦ ص٤٨٧.

(٣) من هذا الموضوع راجع ابن سعيد: كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان فرنيط خينيس ،تطوان المغرب، سنة ١٩٥٨م، ص٥٩، ابن خلدون: العبر م٦، ص٣٢٧، ص٤٨، وابو العباس أحمد القلقسندى: كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا، الجزء الخامس، الهيئة العامة لعصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم ١٣٤، القاهرة، يناير سنة ٢٠٠٥م، ص١٣٣-١٣٤. الزركشى: تاريخ الدولتين، ص٢٤، ابن أبى دينار: المؤنس في أخبار أفريقية تونس، ص١٣٠. راجع كذلك أحمد مختار العبادى: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الإسكندرية، ص١٢٣-١٢٤.

رضاها عن قبيلة دون الأخرى كان يثير ضغائن ومشاكل بينها ومن هنا احتفظ الحفصيون في غالب أحوالهم بود هذه القبائل[1] ومن أشهر تلك المصاهرات زواج أبي زكريا الحفصي أول المستقلين من بني حفص على الموحدين (٦٢٦-٦٤٦هـ /١٢٢٧-١٢٤٨م) الذي تزوج من قبيلة رياح العربية وقد أنجبت له هذه الرياحية ابنة أبا إسحاق وبالذات لكثرة مشاكل الحفصيين الداخلية ولذا كانت هذه القبائل الملجأ والملاذ للفارين والمغضوب عليهم من البيت الحفصي ونذكر في ذلك لجوء الأمير يحيى بن السلطان أبي بكر إلى أحياء الزواودة العرب من رياح بعد وفاة أبيه ٧٤٧هـ/ ١٣٤٧م وقد نزل عند زعيمهم يعقوب بن علي فأكرمه فأصهر إليه الأمير وتزوج ابنة أخيه سعيد وعقد له عليها واستقر عندهم[2] .

وتزوج الخليفة أبو العباس الفضل بن أبي بكر أبي يحيى الحفصي والذي تولى الحكم خمسة أشهر وأيام فقط من سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م من عرب بنى حمزة وأصهر لأبي الليل منهم وذلك بعد أن تملك العرب على دولته وشاركوا رجله الأول ابن عتو في الديوان وحتى في رحبات الطعام والماشية وأخذوا الرشاوي ولما رأى من تسلطهم عليه وعدم مقدرته دفاعهم لجأ إلى مصاهرتهم فقد زوج أخته لأبي الليل بن حمزة رجاء أن يطول ملكه[3] ولكن ما إن عاد أبو محمد بن تافراجين من المشرق التف حوله عرب بني حمزة حتى أزاحوه عن

---

(١) بدليل تعايش هذه القبائل مع بنى حفص في حين لم تستطع ذلك مع أبى الحسن المرينى ولا ابنه أبى عنان لاختلاف سياستهم مع هذه القبائل عن بنى حفص.

(٢) ابن خلدون: العبر م٦، ص٤٧٣. الزركشى: تاريخ الدولتين، ص٩٩.

(٣) ابن أبى دينار: المصدر السابق ،ص ١٤٨

العرش وولوا أخاه أبي إسحاق[١] الذي استبد به ابن تافراجين كما رأينا عليها، كما تزوج الخليفة الحفصي أبو العباس أحمد (٧٧٢-٧٩٦ هـ/ ١٣٧٠-١٣٩٣م) من عرب المحاميد بطرابلس وهم من سليم وذلك لاستيلافهم وضمان عدم ثورتهم[٢]، ولعل هذا يفسر لنا سر ازدياد نفوذ سلطة هؤلاء العرب في عهد ابنه أبي فارس عبد العزيز (٧٩٦هـ / ١٣٩٣م) بحكم كونهم أخواله[٣].

أما بنو عبد الواد الذين حرصوا على إظهار نسبهم العلوي إلى آل إدريس فإنهم كانوا يتقربون إلى العلويين كثيراً والذين كانت لهم قرية من أعمال تلمسان عرفت باسمهم ويزرونها، وقد أقدم السلطان أبو حمو موسى ين يوسف على تدعيم هذه العلاقة والصلة فزوج ابنته من الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسنى ويعرف بالعلوي سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م[٤] وإذا انتقنا إلى دولة بني مرين فإننا نجد حكامها أكثر الحكام إلتزاماً بدبلوماسية المصاهرات مع القبائل العربية لتحقيق الأهداف سابقة الذكر وذلك منذ بداياتها الأولى فيذكر عن عبد الحق بن محيو المريني أنه تزوج الشريفة العربية العلوية سوط النساء من بني علي الشرفاء الحسنين والتي أنجبت له أولاده عبد الله وإدريس وعبد الرحمن

(١) الزركشى: المصدر السابق ص٩١ ،ابن الشماع: الأدلة، ص١٠١.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص١١٤. ابن الشماع: االمصدر السابق، ص١٠٠، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص٩١.

(٣) راجع الزركشي: المصدر السابق، ص١١٤، ١١٧، ١٢٠.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٥٨-٥٩.

الذي هو بلسانهم "رحو"[١]. وكذلك تزوج السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٧-٦٨٥هـ/١٢٥٩- ١٢٨٢م) أرملة مسعود بن كانون سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م[٢] ومسعود هذا كان أميراً لعرب سفيان[٣] الثائر ببلاد نفيس كما تزوج من حرة علوية تسمى أم العزبنت محمد بن حازم العلوي[٤] أخو وزيره يحيي بن حازم العلوي[٥] والتي أنجبت له يوسف سلطان المرينين بعده[٦]، وتزوج كذلك من عائشة بنت أمير عرب الخلط وهو أبي عطية مهلهل بني يحيي الخلطي[٧] القائد الحربي المشهور وصاحب الدور المشهور في غزوات الأندلس في عهده[٨] وأنجب منها عثمان الذي تولى

---

(١) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص١٦، ٢٣. راجع السلاوى: الاستقصا، ج١، ص٢٩، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص٤٤٦، محمد عادل عبد العزيز: الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بنى مرين ٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م ماجستير معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٢م، ص١٨٥.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس، ص٤٤١، السلاوي: المرجع السابق، ص٥٤.

(٣) ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٣١-٤٣٢.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس، ص٤٤٥، ٤٩٣، ابن الأحمر: المصدر السابق ، ص١٦.

(٥) ابن الأحمر: المصدر السابق ، ص١٣، ابن أبى زرع: الذخيرة السنية، ص٨٧.

(٦) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص٩٦

(٧) ابن أبى زرع: الأنيس، ص٥٢٢، ابن خلدون: المصدر السابق ،م٦ ص٣٦ابن الأحمر: المصدر السابق ص١٩. السلاوي: المرجع السابق ، ص٦١.

(٨) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص١٩، السلاوى: المرجع السابق، ص١٠٣. وهو الذي خاطبه ابن الخطيب بشيخ العرب وشيخ الغزاة بالأندلس المخصوص بالمزية لعهده ومدحه بقصيدة طويلة مبينا افضاله وسجاياه ذاكراً فضل أرومته ونسبه قائلاً الحمد لله الذي جعل بيتك شهيراً وجعلك للعرب أميراً وجعل اسمك فالاً ووجهك جمالاً وقربك جاهاً ومالاً وآل رسول الله لك آلا.. يا أمير العرب وابن أمرائها وقطب ساداتها وكبرائها.. راجع: نفاضة الجراب في علالة

الحكم في الدولة المرينية في الفترة من (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م[١]. وتزوج الأمير عبد الله بن يوسف المريني مولدة عربية اسمها زيانة وقد أنجب منها سليمان سلطان المرينيين الذي تولى الحكم في الفترة من ٧٠٨-٧١٠هـ/١٣٠٨ ١٣١٠م[٢].

وتزوج السلطان أبو سعيد عثمان سابق الذكر ابنة زعيم بني حميد، عامر بن إبراهيم بن يعقوب من عرب عامر بن زغبة بعد نزول عامر عليه مخالفاً ومفارقاً لبني عبد الواد مما أدي إلى قيام منافسيهم- أى بنوحميد - وهم عرب بني يعقوب باغتياله[٣]، وعقب ثورة عرب أفريقية على السلطان أبي الحسن المريني أثناء حملته على تونس سنة ٧٤٩هـ /١٣٤٩م ومهادنه كل منهما للآخر عقد السلطان أبو الحسن الصهر بينه وبين عمر بن حمزة أحد أمراء عرب بني حمزة فزوج ابنه عمر بابنة أبي الفضل[٤] وذلك حتى يربط بينهم النسب ويأمن ثورتهم، ومن بين زوجات السلطان أبي عنان المريني مولده عربية اسمها غزالة

الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادى ومراجعة عبد العزيز الإهواني، دار الكاتب العربي، القاهرة، بدون.

(١) ابن أبى زرع: الأنيس، ص٥١٨، ابن الأحمر: روضة، ص١٩، ابن خلدون: العبر م٦، ص٣٦، ابن الأحمر: المصدر السابق، ص١٨.

(٢) ابن الأحمر، المصدر السابق، ص١٨.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٦٢.

(٤) الزركشى: المصدر السابق، ص٨٥. السلاوى: المرجع السابق، ج١، ص١٦٢، ١٧٣.

وهي أم ولده محمد الذي تولى الملك من بعده في الفترة ٧٥٩ - ٧٦٠ هـ/ ١٣٥٨ - ١٣٥٩م[١].

والواقع أن أهداف سلاطين المرينيين من هذه الدبلوماسية قد تحقق أغلبها وبالذات في إخلاص هذه القبائل العربية للدولة المرينية ووقوفها مع الدولة ضد أعدائها والمشاركة الفعالة في الإدارة والقيادة والمحافظة على استقرار هذه الدولة هذا فضلاً عن المساهمات الكبيرة في جهاد المرينيين في الأندلس فأبي عطية مهلهل الخلطي على سبيل المثال الذي ذكرنا من قبل نشط في الجهاد وكان دوره ملموساً في الغزوات ضد النصارى وكان ابنه عطية ذو مكانة عالية في عهد السلطان أبى سعيد وولده السلطان أبى الحسن الذي أرسله سفيراً إلى سلطان مصر الملك الناصر الأيوبي[٢] وهكذا صارت ذريته وأقاربه من تملكوا زعامة الخلط على نفس المنوال في الإخلاص للدولة المرينية عامة وأصهارهم خاصة وها هو موقفهم مع السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق حيث أجمعوا هم وبقية العرب على مبايعته سلطاناً[٣] وما ذلك إلا لأن أمه كانت منهم وقد أيدهم في هذا الاختيار شيوخ بني مرين والوزراء[٤]. ولما ثارعليه ابنه أبو علي عمر وأرغمه على التنازل عن الحكم وولاه فقط منطقة تازا حتى وادي ملوية وأشهد على ذلك، كان لهم موقف حاسم فما كاد الأبن العاق يدخل فاس حتى حاصروه وكادوا أن يفتكوا به لولا

(١) ابن الأحمر: روضة، ص٢٥.

(٢) ابن خلدون: العبر م٧، ص٣٦.

(٣) المصدر السابق، م٧، ص٢٨٨.

(٤) نفسه.

أنه بادر بطلب الصلح من أبيه مقابل توليته سجلماسة وما حولها في الجنوب فأجابه والده وعفا عنه سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م[١]. كما صار لبعضهم مثل زمام بن إبراهيم مكانة عظمى حتى بلغ في الدولة المرينية مبالغ العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه حتى توفي[٢]. وما كان بداية ذلك كله إلا مصاهرة قدحققت أهدافها السياسية للطرفين.

ولما تصالح السلطان أبو الحسن المريني مع عرب أفريقية وتزوج ابنة أبي الفضل ابنة زعيم عرب الكعوب أو بني حمزة وخرج من تونس وترك ابنه أبا الفضل نائباً عنه فيها وثار عليه الحفصيون وحاصروه هو وأنصاره بها وكادوا أن يفتكوا به لولا تدخل عرب بني حمزة أصهاره لانقاذه والافراج عنه وأخذه إلى مخيماتهم فأوصلوه إلى أبيه سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م[٣]. وغير ذلك من المواقف والأحداث السياسية التي تثبت ولاء هذه القبائل العربية لبني مرين بفعل سياسة دبلوماسية المصاهرات ما لو تتبعناه لطال الحديث ولخرجنا عن موضوع البحث.

٢- المصاهرات السياسية بين الأسر الحاكمة ببلاد المغرب:-

نظراً لكثرة المشاكل بين دول المغرب الثلاث، وعدم اعتراف كل منها بالأخرى، ومحاولات كل منها التوسع على حساب جارتها، وذلك في غالب الأحيان عن طريق القوة وتجييش الجيوش والحروب بينها إلا

(١) المصدر السابق، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٣٧.

(٣) راجع هذه الأحداث: السلاوى: المرجع السابق، ص١٧٠. الزركشى: المصدر السابق، ص٨٩.

أن بعض ساسة هذه الدول فضل تنفيذ هذه المرامي والأهداف السياسية وخاصة التوسع الخارجي عن طريق المصاهرات وقد أفلح بعضهم في ذلك إلى حد بعيد وأشهر هذه المصاهرات السياسية على الإطلاق تلك التي كانت بين دولتي المرينيين والحفصيين وذلك في إطار تطور العلاقة السياسية بين هاتين الدولتين والتي بدأت أولاً بالتبعية المرينية لبني حفص وذلك لاكتساب الشرعية السياسية في مواجهة بقايا الموحدين وتصفيتهم وتبادلت الدولتان خلال ذلك السفارات التي عبرت عن الود والصداقة بين الدولتين(١). وذلك حتى تعكر صفو هذه العلاقة بين سقوط دولة الموحدين واستيلاء المرينيين على مراكش وإعلان دولتهم ثم تطلع المرينيين إلى التوسع الخارجي في المغربين الأوسط والأدنى، فضلاً عن العلاقات السيئة بين الحفصيين وبني زيان لسبب تطلع الزيانيين إلى الاستقطاع من الأراضي الحفصية مما أعطى الفرصة الذهبية لبني مرين للتدخل في شئون المنطقتين معاً، ومن هنا بدأ التفكير الجدي في ضم أراضي الدولتين معاً ليكون المغرب وحدة واحدة كما كان في عهد الموحدين وجاءت المبادرة من جانب الحفصيين إذ استغل السلطان أبو يحيى بن أبي زكريا الحفصي سوء الجوار وتأصل العداء بين المرينيين وبني زيان(٢) فطلب من السلطان المريني أبي سعيد عثمان (٧١٠ - ٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣٠م)

---

(١) عن ذلك راجع محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، سنة ١٩٨٧م، ط٢، ص٢١١ وما بعدها.

(٢) عن تلك العلاقة راجع ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص١١٤، ١٨٤، ابن أبى زرع: الذخيرة السنية، ص٨٠، ٨٣، ٨٩، ٩٣، ١١٢، ١٢٩ وما بعدها.

المعاونة لدرء خطر بني عبد الواد[١]" بعد أن ضاق ذرعاً بالحاح بني عبد الواد على ممالكه وتجهيز الكتائب على ثغره وترديد البعوث إلى وطنه[٢]" ومن ذلك أنهم حاصروا بجاية ونزل عليها الزيانيون ولم يطق السلطان الحفصي دفعه، فتحرك لذلك السلطان أبي سعيد عثمان وأنجده بحراً[٣] ثم لما حاصر الزيانيون تونس واقتحموها ونصبوا عليها محمد بن عمران ملكاً للحفصيين يكون تابعاً لهم[٤]، أسرع أبو سعيد بإنجادهم ورغم أن الحفصيين استطاعوا استرداد عاصمتهم قبل وصول المدد المريني إلا أن السلطان أبي سعيد المريني وجدها فرصة لزيادة التقارب بين الدولتين وتقوية العلاقات الودية بينهما مفكراً وبطريقة أخرى في النفوذ إلى المغربيين الأوسط والأدنى لإلتهام دولتي الحفصيين والزيانيين بعد ما أتاحت له الظروف التدخل المباشر في شئون الدولة الحفصية مع وجود علاقات عدائية بينه وبين الزيانيين، وطالما أن الود موجوداً فيجب السير في هذا الاتجاه وتحقيق المآرب السياسية من خلال أحد وسائل الود والتقارب وتسكين النفوس وهي المصاهرات ، عندئذ أرسل إلى السلطان الحفصي أبي يحيى زكريا في خطبة ابنته لولده وولى عهده أبي الحسن توطيداً للعلاقة الودية بينهما وإن صح ما أورده يحيى بن خلدون "من أن السفارة التي أرسلها السلطان الحفصي إلى أبي سعيد عثمان

---

(١) ابن خلدون: العبر م٦، ص٤٣٥. ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص١٢٠، يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ص١٣٦.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق.

(٣) أحمد ابن فضيل الله العمرى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص٤، تحقيق حمزه أحمد عباس، أبو ظبى سنة ٢٠٠٢م، ص١٨٩.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٣٦.

أفصحت عن رغبة المصاهرة بين الطرفين قائلاً "معرضين له بمصاهرتهم" ابنة السلطان إلى أحد أبناء السلطان أبي الحسن، فإن السلطان أبا الحسن اقتنص الفرصة وعزم على تلك المصاهرة السياسية وفعلاً تمت الخطبة والبناء وزفت فاطمة بنت السلطان الحفصي إلى الأمير أبي الحسن[1]، وتحقق هدف السلطان المريني الأول في ضمان مساعدة الحفصيين له ضد بني زيان وإحكام الحصار حولهم من الشرق والغرب تمهيداً لاضعافهم ثم القضاء عليهم وضم دولتهم إلى حوزة المرينيين ويلتمس هذا الهدف والعزم على تحقيقه بمساعدة الحفصيين في رد السلطان المريني على السفارة التي أرسلها السلطان الحفصي برئاسة ابنه الأمير أبى زكريا قائلاً: والله لابذلن في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي ولاسيرن بعسكري إلى تلمسان فأنزلها ولكن بشرط أن يكون أبوك معي"[2] وإن لم يمهله القضاء في تحقيقه إلا أنه تحقق في عهد إبنه أبي الحسن الذي وجد المبرر جاهزاً للقضاء على دولة بني زيان إذ وجه ضربات قوية إليهم تحت شعار الانتقام لاصهاره الحفصيين وتأمين بلادهم من خطر الزيانيين وإزالة خطرهم عن أفريقية الحفصية[3] وبذلك تحقق الهدف السياسي الأول من وراء تلك المصاهرة بل وتحققت نتائج داخلية جيدة لدى الحفصيين بعد هذه المصاهرة، إذ عادت الوحدة الداخلية للدولة وذلك بعد قضاء صهرهم أبي الحسن المريني على أخو السلطان

(١) العمرى: مسالك، ج٢، ص١٨٩، ابن خلدون: العبر م٧، ص٢٩٨-٢٩٩ الزركشى:تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ، ص٦٨.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٤٣٦.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص٦٨، ٧٣.

الحفصي على المتحالف مع أبي تاشفين الزياني صاحب تلمسان[1]، إلا أن أهم النتائج السياسية لهذه المصاهرة على الإطلاق ما ذكرناه من وجود المبرر للقضاء على الزيانيين إذ أرسل إلى السلطان الزياني أبي تاشفين معذراً ومحذراً له ألا يضايق أصهاره الحفصيين ويرجع إلى حدود بلاده التي ورثها عن أسلافه وقال له "كف عنهم ولو سنة واحدة ليسمع الناس أني نافحت عن صهري ويقدروا قدري" في مدخل ذكي وإيجاد ذريعة مباشرة للقضاء عليه لعلمه أن أبا تاشفين سيستغل هذا الموقف ولن يقبل مقولته، وبالفعل استنكف أبو تاشفين عن ذلك وأغلظ للرسل في القول وأفحش بعض السفهاء من عبيده في الرد عليهم بمجلسه ونالوا من السلطان أبي الحسن بمحضره[2]. فكان موقف الغطرسة والتعالي هذا من قبل أبي تاشفين والدال على النوايا المبيتة في اقتطاع أراضي الحفصيين والحرص على ذلك فرصة ذهبية بالفعل لأبي الحسن مع الزحف إلى المغرب الأوسط لتأديب أبي تاشفين أولاً ثم لضم أراضيه إلى الدولة المرينية ومن ناحية ثالثة إظهار حمايته لأصهاره ودرء الخطر عنهم، فاتجه بجيشه سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م إلى تلمسان وحاصرها حصاراً شديداً طويلاً استمر ثلاثة سنوات وانتهى في رمضان ٧٣٧هـ/ أكتوبر ١٣٣٧م بعدها اقتحم أبو الحسن أسوار المدينة واستولى عليها وقتل أبا تاشفين[3]. محققاً أولى الخطوات في توحيد المغرب الحلم الذي سعى إليه أسلافه

(١) السلاوى: المرجع السابق، ص١٢٢.

(٢) راجع السلاوى: المرجع السابق، ص١٢٢. يحيى بن خلدون: بغية الرواد، م١، ص١٤٠.

(٣) راجع هذه الأحداث: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص١٤٠-١٤٢. الزركشى: المصدر السابق، ص٧٢. السلاوى: المرجع السابق، ص١٢٢.

وذلك بسبب مصاهرته لبني حفص. ولكن بقى لأبي الحسن خطوة أخرى هامة وجب أن تكون موازية للأولى وهي ضم أفريقية ولكن أنى له ذلك وحكامها أصهاره ولم يكن هناك ما يعكر العلاقة بينهما وليس هناك من مبرر لمعاداتهم ومع أنه وحد من يدفعه إلى ذلك دفعاً ويزين له احتلال أفريقية الحفصية من خصوم الحفصيين، ورغم ما تشير إليه المصادر من أن الأمير أبا الحسن رد هؤلاء[1]، إلا أنه لم يتنازل عن هذا الحلم فأرجأ مشروع التوسع في الشرق إلى حين ونظر إلى تأديب أبى تاشفين وضم المغرب الأوسط الذي تحقق ، ثم إنه أراد التوسع في الشمال ومملكة بني الأحمر في الأندلس مستغلاً ضعف هذه المملكة أمام نصارى الشمال والفونسو الحادي عشر Alfonso XI ملك قشتالة بالذات الذي احتل جبل طارق، فلما استغاث به محمد بن اسماعيل بن الأحمر (٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٤-١٣٣٢م) أسرع بإنجاده واستطاع فعلاً استرداد جبل طارق سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م[2] إلا أن مشروعه حكم عليه بالفشل في تلك الناحية وذلك بسبب هزيمته في واقعة طريف سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م[3] وأجبرته بالتالي على التركيز في التوسع إلى الشرق والارتباط أكثر من ذي قبل

---

(١) راجع السلاوى: المرجع السابق، ص١٥٥.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، م ٧، ص٣٠٢-٣٠٣. السلاوى: المرجع السابق، ص١٢١ وما بعدها.

(٣) راجع: ابن خلدون: المصدر السابق ، ص٣١١. الزركشى: المصدر السابق، ص٧٦، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى: كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة ١٩٨٣م، ص١٦١، السلاوى: المرجع السابق، ص١٣٤ وما بعدها.

بأصهاره الحفصيين والتدخل في شئونهم الداخلية إذا أسفرت هذه الهزيمة الشنيعة عن وصول النصارى إلى فسطاط السلطان أبي الحسن واستباحته وقتل من به من النساء والأولاد عن أخرهم ومثلوا بهم ونجا السلطان منه بإعجوبة ولكن كان من بين نسائه المقتولات الحفصية فاطمة بنت أبي بكر الحفصي[١]، بعدها فكر السلطان جدياً في أن تحل محلها إحدى أخواتها حتى لا يفقد صلته ببني حفص ويفقد طموحاته كاملة " فسما أمله في الاعتياض عنها ببعض أخواتها"[٢] ليكون ذلك مدخلاً لتحقيق مآربه كما أثبتت الأحداث لا كما تذكر بعض المصادر[٣] من أنه "بقى في نفسه حنين إلى ما شغفته من خلالها ولذاذه العيش في عشرتها" ولهذا أسرع السلطان أبو الحسن بإرسال وفد من كبار خاصته[٤] برسم الخطة لابنة السلطة أبي يحيى عوضاً عن أختها فاطمة، ولما وصل الوفد امتنع السلطان الحفصي في البداية عن تجديد المصاهرة وذلك "صوناً لحرمه من جولة الأقطار وتحكم الرجال مثلما وقع لابنته الأولى[٥]"، ولكن سياسة المصالح فرضت عليه التنحي عن الاسترعاء أو حتى العواطف الإنسانية

---

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣١٦.

(٢) نفسه.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ، السلاوى: المرجع السابق، ص١٥٣.

(٤) وهم أبو يحيى بن أبى بكر كاتبه، وأبو الفضل بن عبد الله بن أبى مدين والفقيه أبو عبد الله محمد بن سليمان اللمطى ومولاه غير الخصى. راجع الزركشى: المصدر السابق، ص٧٨ وزاد ابن خلدون عليهم عريف بن يحيى كبير بنى سويد صاحب شواره وخالصة سره وسمى اللمطى السطى، راجع المصدر السابق، م٦، ص٤٥٦، م٧، ص٣١٦-٣١٧.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق، م٧، ص٣١٧.

وطرحها جانباً، إذ أشار عليه حاجبه ابن تافراجين[١] بالموافقة خوفاً من إغضاب السلطان أبي الحسن ورعياً لما بينهما من صهرسابق يقول ابن خلدون[٢]" لم يزل يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبي الحسن في رد خطبته على ما بينهما من الصهر السابق والمخالصة القديمة والعهود المتأكدة" فنزل السلطان عن رأيه واستجاب لطلب السلطان أبي الحسن وساق ابنته عزونة إلى السلطان أبي الحسن على صداق خمسة عشر ألف دينار ذهباً ومائتا خادم وكتب هذا الصادق سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م[٣] وذلك صحبة أخيها الأمير أبي الفضل صاحب بونة(عنابة) إذ أوكل إليه السلطان صحبة أخته حتى تزف إلى السلطان[٤] فتم ذلك بعد أن بذل الوزير الحاجب ابن تافراجين كل الجهود في تجهيز العروس وموكبها أتم تجهيز أناقة واحتفالاً وكثرة[٥] .

وقصة زواج أبي الحسن المريني من عزونة بنت الحفصيين هذه لتؤكد أن الأهداف السياسية وتحقيق الأطماع الشخصية كانت فوق كل شئ والتوسل بأي وسيلة في سبيل تحقيقها أو حتى التنازل عن أي شئ من أجلها وهو ما جاءتنا أصدائه في المصادر فالقلقشندي[٦] ينقل عن

---

(١) راجع عن بيت ابن تافراجين ص٧٨٢وما بعدها من البحث.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الزركشى: المصدر السابق ص٧٩، إبراهيم بن العباس: الإعلام ج٩، ص١٧٣.

(٤) ابن خلدون: العبر٦، ص٤٥٧، والزركشى: المصدر السابق، ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية، ص٩٥.

(٥) راجع ابن خلدون: المصدر السابق، ٧٢ ص ٣١٧.

(٦) أبو العباس أحمد القلقشندى: كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٧، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية، تقديم فوزى محمد أمين، الهيئة العامة

غيره أن الخليفة الحفصي ساق ابنته إلى السلطان المريني سوق الأمة" دلالة على الرضوخ لمطالب ثقيلة وتحقيق أوامر صعبة التنفيذ من أجل إرضاء السلطان المريني. كما تحدث أهل أفريقية ونقل عنهم العمري[1] أن صاحب أفريقية أرسل ابنته إلى السلطان المريني لا لشيء إلا ليبقى على ملكه وسلطانه خشية أطماع المريني أو إغضابه إن رفض تلك المصاهرة ،وهنا الخوف واضح من السلطان المريني المحسوسة أطماعه لدى الحفصيين وكذلك خشية إغضابه وهو الحليف القوي الذي يقف للحيلولة دون تدخل الزيانيين وأطماعهم في الملك الحفصي، وكلها أهداف سياسية ابتغت من وراء هذه المصاهرة، أما على الجانب الآخر فقد وضحت أهدافه منذ البداية وعلى رأسها أفريقية الحفصية نفسها التي نظر إليها بعين الطمع يقول ابن خلدون[2] "وكان السلطان أبو الحسن قد امتدت عينه على ملك أفريقية" وكان يتمنى لو رفض السلطان الحفصي خطبته ليحقق هذا الحلم بدليل أنه لما انقطعت أخبار الوفد المرسل منه إلى أفريقية ووصلت إلى أسماعه إشاعة تقول برفض الحفصيين مصاهرته وكان قريباً منهم في المنصورة التي بناها بجوار تلمسان عاد من فوره إلى فاس وأخذ في إعداد جيشه لغزو أفريقية وأعطى تفويضاً لحفيده المنصور بن الأمير أبي مالك لإدارة شئون المغرب الأقصى أثناء غيابه وجعل إلى جانبه الحسن بن سليمان يرزيكن متولياً لأمر الشرطة

لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر ٣٦، القاهرة، سنة ٢٠٠٤م، ص٣٨٦، محمد عيسى الحريرى: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢١٤.

(١) المصدر السابق ص ١٨٨.

(٢) المصدر السابق، م ٧، ص ٣١٧.

والضواحي[١]، ولكن هذه الاستعدادات توقفت بعد أن وصلت الأنباء بتمام المصاهرة الجديدة. وهذا يعني نية مبيته لتحقيق هدف ما يلتمس أبو الحسن المريني ذريعة لتحقيقه وجدها في رفض الحفصي ، ولكن كان عليه أن ينتظر مرة أخرى بعدما استجاب له في الصهر حتى ولو بعد وفاة زوجته الثانية على ما يشير ابن خلدون[٢] فبعد أن يقرر طمع أبي الحسن في أفريقية وصعوبة تحقيقه بسبب هذه المصاهرة " لولا مكانة مولانا السلطان أبي يحيى من ولاية صهره وأقام يتحين لها وفاة " زد على ذلك أن السلطان أبا الحسن كان " يحدث نفسه منذ ملك تلمسان وقبلها يملك أفريقية ويتربص بالسلطان أبي بكر[٣]" وفوق كل هذا نظر أبو الحسن المريني إلى أفريقية وكأنها جزء من الدولة المرينية وكأن الحفصيين نواباً عنه فيها يجب أنهاءهم إذا لم يخضعوا لطلباته بدليل ما يذكره العمري[٤] من أن أبا الحسن المريني أرسل كتاباً إلى حضرة السلطان بمصر مخبراً أياه بفتوح تلمسان وأن مملكته اتصلت من البحر المحيط إلى برقة، وقد جعل هذا الأمر العمري[٥] يقرر بالفعل أن الغرب كله بيد أبي الحسن وأن ما هو بيد ملوك كان في طاعته حيث كان يذكر في الشرق بملك المغرب ، على كل حال فبعيداً عن زوجته عزونة جاءت الذريعة وواتته الفرصة قبيل وفاة السلطان الحفصي أبي يحيى الذي كتب وثيقة بولاية العهد لابنه أبي العباس أحمد وأشهد على هذه

(١) ابن خلدون :المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق، م٧، ص٣١٧.

(٣) المصدر السابق، ٦م، ص ٤٥٤.

(٤) المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٥) نفسه.

الوثيقة صهره السلطان المريني بل جعله ضامناً لسريانها في حالة وفاته[١] وذلك لكي يشعر أبناءه بقوة الوثيقة ووجوب تنفيذها. والسلطان لا يدري أنه بذلك فتح الباب على مصراعيه للتدخل المريني المباشر في شئون الدولة الحفصية. فمبجرد أن توفي السلطان وثب ابنه الأمير عمر على السلطة وأخذها لنفسه دون ولي العهد أخيه أبي العباس[٢] وتملك القصر وضبط أبوابه وأخذ البيعة بمساعدة ابن تافراجين[٣].

ولما بلغ ذلك ولي العهد جهز جيشاً وسار به نحو أخيه في الوقت الذي تخلى عنه الوزير ابن تافراجين لما لم يطمئن إليه[٤]، فتراجع الأمير عمر إلى باجة[٥] ودخل الأمير أحمد إلى تونس وبويع بها سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م[٦] ولم تمض أيام حتى صبح الأمير عمر المدينة وفرق قواته على أبوابها ففتحت وقامت معه العامة فلم يأت الضحى إلا وقد استولى على المدينة وقتل أخاه الأمير أحمد ومعه أخويه خالد وعبد

(١) ابن خلدون: المصدر السابق،م٧، ص ٣١٨.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق،م٦،ص٤٥٢:٤٥٣، ابن الشماع: الأدلة البينة، ص٩١، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٦٨، ابن أبى دينار: المؤنس، ص١٤٥.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٤٥٢، الزركشى: المصدر السابق، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٦٨، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص٨٢.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٥٣، السلاوى: المرجع السابق، ص١٥٥.

(٥)ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٥٣،الزركشى: المصدر السابق، ص٨١، ابن الشماع: الأدلة البينة، ص٩١، السلاوي: المرجع السابق، ص١٥٤.

(٦) ابن خلدون: المصدر السابق، السلاوى: المرجع السابق.

العزيز والعديد من أنصار ولي العهد[١]، وكانت هذه المأساة المروعة بداية التدخل العسكري المريني في أفريقية الحفصية فرغم أن بعض المصادر[٢] تذكر أن السلطان أبا الحسن تنغص مما فعله الأمير عمر وإرتكابه مذاهب العقوق إلا أن الأحداث تؤكد أن السلطان المريني اهتبل هذه الفرصة التي انتظرها طويلاً لكونه شاهد وضامنٌ لتنفيذ وثيقة ولاية العهد التي لم تحترم من جانب الأمراء الحفصيين وواته الظروف أكثر أن كبير دولتهم ابن تافراجين قد فر إليه مقوياً من عزمه على تملك أفريقية وضمها إلى الدولة المرينية[٣] آملاً أن يحوز نفس المكانة عندهم كما كان عند الحفصيين وعلى هذا الأساس دخل أبو الحسن المريني تونس عاصمة أفريقية الحفصية سنة ٧٤٨ هـ/١٣٤٧م مدعوماً ومؤيداً من أغلب حكام الأقاليم في الدولة الحفصية لكونه في نظرهم محقاً في تدخله بناء على وصية أبي يحيى الحفصي[٤]، وكذلك مؤيداً من جانب الأمراء الحفصيين الآخرين الذين بايعوه جميعاً[٥]. والسؤال الأبرز الآن: ماذا

---

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٤٥٤، الزركشي: المصدر السابق، ص٨١، ابن الشماع: الأدلة البينة، ص٩٣، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٦٩، السلاوي: المرجع السابق.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، م٧، ص٣١٨،الزركشي: المصدر السابق، ص٨٢، السلاوي: المرجع السابق.

(٣)ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٤٥٤، م٧، ص٣١٨، الزركشي: المصدر السابق، ص٨٢، ، ابن الشماع: الأدلة، ص٩٤، ابن أبي دينار:المؤنس، ص١٤٦.

(٤) راجع: ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٤٥٥، م٧، ص٣١٨، الزركشي: المصدر السابق، ص٨٣،٨٢.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣١٨.

حقق أبو الحسن بتدخله هذا لاصهاره؟ أو بالأحرى ماذا حقق لنفسه بهذه المصاهرة ؟ الواقع أن تدخله هذا لم يحقق لأصهاره شيئاً ولم يحل لهم مشكلتهم ولم ينفذ وثيقة ولاية العهد. وأنى تنفيذها وقد قتل ولي العهد ؟! ثم كان من باب الحرص على أصهاره أن يعين أحدهم والأحق منهم ثم يعود أدراجه إلى المغرب الأقصى فتحل المشكلة ويعود الاستقرار لهذه الدولة ولكن هناك بون شاسع في تفكير أصهاره وثقتهم بصهرهم وبين نوايا وأطماع أبي الحسن الخفية المبتغاة من وراء المصاهرة، وهاهي الفرصة قد حانت لتحقيقها فلم يكن ليدعها تمر دون أن يحقق حلمه وحلم آبائه في توحيد المغرب الإسلامي كله تحت لواء بني مرين، ولهذا لم يكد يستقر بتونس الحفصية حتى أصار الدولة بأقاليمها تابعة للدولة المرينية وعجل جاهداً لطمس هوية الدولة الحفصية وأقطع بني مرين البلاد والضواحي وأمضى اقطاعات الموحدين للعرب واستعمل على الجهات وسكن القصر[1]، بل أكثر من هذا شرع في بناء مدينة في سيجوم أطلق عليها اسم المنصورة تخليداً لدخوله تونس منصورا ولتكون مقراً لجيوشه التي ضاقت بها مدينة تونس[2]، ثم وزع بقية القوات على ثغور أفريقية ليحكم ضبطها، وفي هذا السبيل أيضاً أبعد رجال الدولة الحفصية المخلصين وكذلك أمراء البيت الحفصي أصهاره إذ حول أولئك الأصهار إلى مجرد عمال أو موظفين في دولة بني مرين وأبعدهم عن مباشرة السلطة بل واقصائهم عن مراكز السلطنة الحفصية فنقل حفصيي بجاية

(١)ابن خلدون: المصدر السابق، م٧، ص٣٢٠-٣٢١، الزركشي: المصدر السابق، ص٨٣، ابن أبي دينار: المؤنس، ص١٤٦.

(٢) ابن الشماع: الأدلة البينة، ص٩٦، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص١٤٦-١٤٧.

وعلى رأسهم أبي عبد الله محمد بن زكريا من عمله إلى ندرومة في بلاد المغرب الأوسط[١]. وحفصيي قسنطينة وعلى رأسهم أبي زيد الحفصي وأخوته إلى وجده من عمالات المغرب الأوسط أيضاً[٢]. وأحل محلهم جميعاً حلفاء وعمال المرينيين لتأمين الوجود المريني بأفريقية حتى صهره الأقرب وشقيق زوجته عزونة أبوالعباس الفضل الذي وعده لما بلغته أخبار الفتنة أنه سوف يساعده في اكتساب حقه في ملك أبيه[٣]، فسار معه الأمير من تلمسان إلى أفريقية أملاً في ذلك ولكن غاية ما فعله معه أبو الحسن أن جعله والياً على بونة مثلما كان في حياة أبيه[٤] وهو ما لم يقتنع به الأمير واعتبر أن صهره تنكر لما وعده به مستنكفاً أن يعيد له ملك آبائه وأجداده فأسرها في نفسه ولم يبدها له واقتنع ظاهراً بإمارته حتى تحين الفرصة ويعلن عن موقفه ويصرح بما يكنه لصهره السلطان المريني[٥] تماماً مثلما فعل كبير دولتهم أبو محمد عبد الله بن تافراجين الذي خابت آماله عندما أبعد الفضل عن السلطة وتقلده هو منصب الوزارة الذي لم يعطه من النفوذ والسلطان والسطوة ما كان

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣١٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٧١.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، م٧، ص٤٥٨، ابن الشماع: الأدلة البينة، ص٩٨.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٤٥٣، م٧، ص٣١٩، ابن الشماع: الأدلة، ص٩٥.

(٥) يقول ابن خلدون "واضطغن المولى الفضل من ذلك حقداً لما كان يرجوه من تجافيه له عن ملك أبائه ولحق وفادته وصهره وأقام بمكان عمله يؤمل الكرة" المصدر السابق

تعوده في عهد السلطان أبي بكر[1]، كل هذا في الواقع دل على أن أبا الحسن جاء أفريقيا ليحتلها ويضمها لدولته لا يبغي إصلاح ذات البين ولا إكرام أصهاره بحفظ دولتهم إنما ليجعل إفريقية إقليماً من أقاليم الدولة المرينية.

وعليه فإذا كان أبو الحسن المريني قد حققلأول مرة منذ سقوط دولة الموحدين وحدة المغرب وحقق حلم رواد آباءه وأجداده إلا أن السلطان لم يخطط جيداً لبقاء المرينيين ولم يعمل حساباً لكثرة القوى السياسية الموجودة بإفريقية وبالذات القبائل العربية التي كانت على وفاق تام مع الحفصيين واختلف معها فألبت عليه البلاد والعباد وضمت إليها كبير الدولة ابن تافراجين ووجدوا حفصياً يدعي أحمد بن أبي دبوس وأعلنوه سلطاناً وحاصروا السلطان في القيروان[2] ولكنه نجا على يد عرب أولاد مهلهل ويذهب إلى تونس[3]، وانتهى الأمر برجوع العرب إلى الطاعة وبالذات أولاد أبي الليل وأسلموا سلطانهم إلى أبي الحسن معلنين الطاعة ومرة أخرى يستخدم أبو الحسن دبلوماسية المصاهرات ليستألف قلوب أولئك العرب ويصاهر عرب الكعوب وبني حمزة منهم

---

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، م٧، ص٤٥٨، ابن الشماع: الأدلة، ص٩٧، وكان يظن أن السلطان أبا الحسن سيكل إليه أمر أفريقية ويجعل الفضل ملك معه.

(٢) راجع هذه الأحداث: ابن خلدون: المصدر السابق، م٧، ص٣٤٤ وما بعدها، الزركشي: المصدر السابق، ص٨٣-٨٩، ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص٣٣٤، ابن أبي دينار:المؤنس، ص١٤٧، يحيى بن خلدون: بغية الرواد، م١، ص١٤٤ وما بعدها، ابن الشماع: الأدلة البينة، ص٩٦-٩٨، النباهي: المرقبة العليا، ص١٦١.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، م٧، ص٣٢٨.

بالذات فيزوج ابنه الفضل من بنت كبيرهم كما رأينا سلفاً[١] وظل السلطان يقرالأمور بأفريقية لبني مرين حتى أظلم الجو بينه وبين ابنه أبي عنان الثائرعليه وكثرت المعارك بينه وبين حفيده ونائبه على المغرب منصور بن أبي مالك واستعانة أبى عنان بإدريس بن عثمان بن أبى العلا غريمه كل ذلك دفع السلطان أن يترك أفريقية ويتجه إلى المغرب الأقصى[٢] خاصة بعد أن جاء الخطر يحدق به من كل جانب وأن جهوده التي بذلها من أجل توحيد المغرب ستضيع سدي بسبب نجاح بني عبد الواد في إستعادة وإحياء دولتهم، فبقاياهم في تونس اجتمعت بظاهر البلد وبايعوا عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان[٣]، وابنه أبو عنان أحيا آمال الحفصيين في استعادة ملك آبائهم فأرسل جميع الولاة الحفصيين الذين عينهم أبوه في المغرب الأوسط إلى ولاياتهم القديمة في المغرب الأدنى ليحاربوا أباه ويكونوا في نفس الوقت حائلاً بينه وبين أبيه[٤]، في ذات الوقت الذي استغلت فيه القبائل العربية[٥] تلك الظروف وأعلنت انضمامها إلى الأمير أبى العباس الفضل صهر السلطان أبى الحسن لمعاونته في استعادة العرش الحفصى فاستقدموه من بونة لطلب حقه وأدخلوا في طاعته عدد من أمراء البيت الحفصى وولاة الأقاليم في

(١) راجع ما سبق: ص ٧٩٨من البحث.

(٢) راجع: ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٣٢.

(٣) راجع: ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٤) انظر ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٥) وخاصة أولاد أبى الليل، راجع ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٢٨، ص٣٣٦.

أفريقية[١] فاستطاع الفضل استرداد ملك الحفصيين[٢] وسرعان ما طرد نائب السلطان في تونس والذي تركه أبو الحسن بعد رحيله وهو ابنه أبا الفضل[٣] وضاع ما أجهد أبو الحسن في أقامته ولكن لفتره قصيرة، فما إن انتهت المشاكل بين أبى الحسن وابنه أبى عنان بوفاة الأب سنه ٧٥٢هـ/١٣٥١م[٤] حتى شرع الابن في استعادة نفوذ الدولة المرينية في المغربيين الأوسط والأدنى ولا يترك فرصة لاستفحال القوى التي ظهرت على الساحة أثناء نزاعه مع أبيه، ونجح أبوعنان في ذلك إلى حد كبير فقضى على بنى عبد الواد. وأسرسلطانهم أبا سعيد عثمان الزيانى ودخل تلمسان سنه ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م[٥] ثم وزع عماله على نواحى المغرب الأوسط، وذلك بعد أن أحتل أجزائه الحفصية على فترات خاصة بجاية وقسنطينة[٦] ثم أعلنت بعض المناطق الأخرى ولائها له مثل منطقة الزاب وطرابلس وبعض القبائل العربية كالزواودة[٧] مكتفيا بذلك لمجابهة المشاكل الداخلية في دولته[٨]، وبعد أن أنهى تلك المشاكل وفي سنه ٧٥٧هـ/ ١٣٥٩م أعلن أبو عنان التبعئة العامة لاستعادة أفريقية الحفصية

---

(١) راجع ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٤٦٢، الزركشى: المصدر السابق، ص٨٩.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، م٧ص٣٣٧، ابن الشماع: الأدلة البينة، ص٩٩.

(٤) الزركشى: المصدر السابق، ص٩٠.

(٥) راجع التفاصيل: ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٤١-٣٤٢.

(٦) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٤٢ وما بعدها.

(٧) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٤٥.

(٨) كثورة أخيه أبى الفضل بأرض السوس، وانتفاض عيسى بن الحسن بجبل الفتح، راجع ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٤٧-٣٥١.

إلى حظيرة الدولة المرينية وذلك بعد أن اعتبر اعتداء أبى العباس الفضل الحفصى على موسى بن إبراهيم عامله في قسنطينة هو وأولاده في ضواحي المسيله[1]، أعتبرذلك اعتداء على السيادة المرينية إلا أن هناك أسباباً أخرى دفعته لتجيش الجيوش لتحقيق ذلك لها اعتبارات قوية عند أبى عنان منها محاولته الفاشلة مع كبير دولة الحفصيين ابن تافراجين في التواطؤ على تسليمه تونس الحفصية وذلك اعتماداً على ما كان بينهما من مهاداه وتعاون ضد صاحب قسنطينة أبا زيد الحفصى لكي ينصرف عن غزو أفريقية ومحاربة عمه المستنصر[2] ولكن ابن تافراجين رفض ذلك مقتنعاً بأنه لا أمل له من تحقيق طموحاته السياسية مع بنى مرين، وهناك دافع آخر وهو المهم عندنا الآن وكان له الأثر الأقوى في توجيه أبى عنان لاحتلال أفريقية الحفصية ألا وهو أن أبا عنان أراد أن يقلد والده أبا الحسن وهو يسلك مسلكه في الوصول إلى العرش الحفصى دون قتال بل عن طريق المصاهرة، فأرسل إلى الحفصيين طالباً الصهر وأنكا على ابن تافراجين ليقوم بدور الوساطة في هذه الزيجة كما فعل مع والده أبى الحسن في زواجه من ابنتي أبى بكر الحفصى الثاني فاطمة وعزونة ولكن ابن تافراجين أبى التدخل والوساطة هذه المرة[3] وترك الأمر في أيدي السفارة التي أرسلها السلطان أبو عنان ورئيسها الفقيه الخطيب ابن مرزوق التلمساني لتخطب إحدى بنات السلطان أبى بكر الحفصى، فما إن تقدم ابن مرزوق لطلبها حتى امتنعت البنت المقصودة عن الاستجابة غير أن والدتها قالت لابن مرزوق: غدا إن شاء الله يكون الحديث بمحضر

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٥١.

(٢) ابن قنفذ: الفارسية، ص١٧٤.

(٣) راجع: ابن القنفذ: الفارسية، ص١٧٤، المطوى: السلطنة الحفصية، ص٤٢٩.

القاضي وغيره[١]، ولم يكن ذلك الإهمال إلا وسيلة تتمكن بها البنت من الإفلات والهروب من ذلك العرض، ففي الغد عندما أتى ابن مرزوق لم يجدها في المكان الذي وقف عليها فيه "فقد اختفت عنه وجد الطلب عنها فلم يجدها[٢]" وإذا كانت بعض المصادر[٣] تذكر أن عدم اقتناع البنت بهذه الزيجة إلى ملحظ شخصي على السلطان أبى عنان إذا قالت "بلغني أن فيه قلقاً يمنعي من عشرته". فان العروسي المطوى[٤] يعلل ذلك برأي له وجاهته وهو أن السبب الحقيقي لرفض تلك الخطبة اختلاف الظروف فيها عن تلك التي تمت فيها المصاهرات السابقة ففي عهد أبى الحسن كانت المصاهرة في وقت لم يكن فيه المرينى مناهضاً لبنى حفص ولم يقدم على إزالة سلطانهم وكان التكافؤ بين المتصاهرين يكاد يكون تاماً أما هذه المرة فقد كان أبوعنان قادماً إلى أفريقية غازياً محارباً مسجلاً عدة انتصارات على بنى حفص مزيلاً لسيادتهم وملكهم في بجاية وعنابة وقسنطينة، ولم يكن قبول الزواج منه إذ ذاك إلا تنفيذاً من المغلوب لرغبة الغالب والمقهور لسلطة القاهر، ولهذا لا يستعبد أن يكون الرفض من بنت أبى بكر الحفصى يمثل موقفاً سياسياً أملاه الشعور بالعزة والأنفة من المذلة ولذلك عندما خافت أن يتم ذلك لاذت بالفرار مخافة أن تصبح بمثابة الجارية أوالمغتصبة.

---

(١) راجع الزركشى: تاريخ الدولتين، ص٩٧، ويذكر ابن القنفذ أن البنت هي التي قالت ذلك للقاضي: راجع المصدر السابق، ص١٧٤.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ابن القنفذ: المصدر السابق، ص١٧٥.

(٣) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٧٥.

(٤) السلطنة الحفصية، ص٤٣١.

إلا أن المطوي فاته – وكما رأينا – أن أبا الحسن كاد أن يفعل مثلما فعل أبو عنان لما أشيع بأن مصاهرته مرفوضة من البيت الحفصى في المرة الثانية، كما أن البنت ما وجدت من يبين لها المصلحة في إتمام الزواج مثلما حدث مع بنتي أبى بكر السابقتين اللتين رضيا بما ارتضى بهما أبوهما إعمالاً للمصلحة واتقاء لشر قادم من جانب المرينيين وإبطالاً لأطماع سوف تحقق لقدرة الطالب وضعف المطلوب ولذا نعتبر موقفها شخصياً لا يستند على أية دلالة سياسية أو تكافؤيه على المستوى السياسي أو الاجتماعي وذلك بناء على مقولة البنت من شخص أبى عنان ولأن الظروف وإن اختلفت في مجريات الأحداث فإن المرينيين في كلا الموقفين الأقوياء المملين لمطالبهم والحفصيين في موقف الضعف الذي يجبرهم على تنفيذ تلك الأملاءات المرينية ويؤيد ذلك تشابه موقف الأب وابنه المتشدد في المصاهرة الغير مقصودة في حد ذاتها بل المقصود من ورائها أهدافاً أخرى ستنفذ سواء كانت هذه المصاهرات تمت أو لم تتم، فكما تمت المصاهرات الأولى وانتهت باحتلال المرينيين لأفريقية الحفصية، تم احتلال أفريقية أيضاً مع عدم إتمام المصاهرة في المرة الثانية على يد أبى عنان الذي تذرع به لمباشرة الهيمنة المرينية على الحفصيين ومن منطلق القوة أرسل حملة برية وبحرية سنه ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م، واستولى على أفريقية الحفصية وخطب له فيها إلا في بعض المناطق[١] ثم لحق أبوعنان بالجيش واستقر بتونس[٢] مبتدئاً نفس سياسة

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٥٤، وذلك ماعدا المهدية وسوسة وتوزر وكان الدعاء لمدة شهرين راجع: ابن أبى دينار: المؤنس، ص١٤٩.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٥٢-٣٥٣، ابن أبى دينار: المؤنس، ص١٤٩.

والده مع القبائل العربية التي أثارت ضده المشاكل وأعلنوا عصيانهم على المرنيين، في الوقت الذي سمع فيه السلطان بتآمر الجند لقتله وتنصيب إدريس بن أبى عثمان بن أبى العلاء[١]، عندئذ قرر العودة إلى فاس سنه ٧٥٨ هـ/١٣٥٧م[٢] دون أن يصاهر أو يستفيد من دبلوماسية المصاهرات كما فعل جده ووالده. وما لبث أن توفي في العام التالي[٣] لتدخل الدولة المرينية في منعطف خطير على المستويين الداخلي والخارجي بسبب تسلط الوزراء والحجاب على السلاطين المرينيين مما أدى إلى الاضطرابات الداخلية وضياع ممتلكات الدولة الخارجية فتقلصت الدولة واقتصرت على المغرب الأقصى[٤] ليستعيد الحفصيون عرشهم والزيانيون كذلك.

٣- المصاهرات السياسية بين الحفصيين والزيانيين:-

أفرزت العلاقات العدائية بين الدولة الحفصية والدولة الزيانية وكذلك المنازعات الداخلية والصراعات على السلطة بين أفراد البيت الحاكم وخاصة في الدولة الحفصية، تلاقى مصالح بعض هؤلاء المتنازعين وبين جيران دولتهم من الزيانيين أعدائهم، ومن ثم كانوا يستقوون بهؤلاء الأعداء ويتقربون إليهم عن طريق المصاهرات لنيل السلطة أو أن البعض الآخر كان يهرب من البلاد ويدبر أموره خارجها حتى ولو باللجوء إلى أعداء الدولة للاستعانة بهم لتحقيق ما يرنو إليه هو

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٥٣.

(٢) نفسه.

(٣) المصدر السابق، ص٣٥٤-٣٥٥.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٥٤-٣٥٥.

وأعدائه وغالباً ما كان يتم تتويج هذا التعاون والتحالف بالإصهار أيضا. ومن أمثلة الحالة الأولى الواضحة، تلك المصاهرة التي تمت بين السلطان أبى عبد الله محمد بن المنصور بن أبى بكر الثاني في ولايته الثانية لبجاية (٧٦١-٧٧٠ هـ/١٣٥٩-١٣٧٠م) وبين أبى حمو موسى الثاني بن يوسف (٧٦٠-٧٦١هـ/ ١٣٥٨-١٣٥٩م). إذ لما اشتدت المنافسة بين الأمير عبد الله وبين عمه السلطان أبى العباس أحمد الثاني المستنصر (٧٧٢-٧٩٦ هـ/ ١٣٧٠-١٣٩٣م) آثر الأمير عبد الله السلامة مع بنى عبد الواد وتنازل لهم عن تدلس[١] التي كان قد استولى عليها أثناء الفتنة بينهما[٢] وأمكن منها قائدهم العسكري[٣] وأوفد رسله إلى السلطان أبى حمو بتلمسان، فأصهر له السلطان أبو حمو من ابنته وعقد له عليها وزفها إليه بجهاز أمثالها[٤]، فلما غلب الأمير أبو العباس أحمد على بجاية وهزم الأمير عبد الله وهلك الأخير في سجال الحرب امتعض لذلك أبو حمو لمكان الصهر بينهما وجعل ذلك ذريعة إلى الحركة على بجاية لضمها لملك الزيانيين ولكن استطاع السلطان الحفصى أبو العباس أحمد ردهم عن بجاية بل واستعاد تدلس من أيديهم كذلك وقتل من كان بها من عمال بنى عبد الواد[٥]. فلم تؤد هذه المصاهرة إلى سلام بين حفصي بجاية وبنى زيان، بل زادت العداء بين أفراد البيت الحفصى للبيت

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٨١.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، يحيى بن خلدون: بغية الرواد، م٢، ص١٦٠.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، يحيى بن خلدون: المصدر السابق.

(٤) راجع هذه التفاصيل: ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٨١-٤٨٢،ج٧، ص١٥٣.

(٥) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص١٥١، ص١٦٠، ص١٨٢.

الزياني وكثرت الحروب بينهما بل زادت الانقسام في البيت الحفصى نفسه واستغل أبناء أبى عبد الله محمد صهر السلطان الزياني ذلك في محاولات استرجاع ملك أبيهم مثلما حدث وذهب الأمير أبو زكريا إلى السلطان الزياني راجياً مساعدته في استرداد بجاية من يد مغتصبها وقاتل أبيه[1] ومن أمثلة النوع الثاني من الأمراء المتنازعين على السلطان حاله الأمير الحفصى أبو إسحاق إبراهيم الأول (٦٧٨-٦٨١هـ/١٢٧٩-١٢٨٢م) الذي فر من أفريقية إلى تلمسان ثم أجاز إلى الأندلس ولما علم بوفاة أخيه المستنصر أجمع أمره على الإجازة لطلب حقه بعد ما تردد برهة ثم اعتزم وأجاز إلى تلمسان[2] ونزل على يغمراسن بن زيان (٦٣٣-٦٨١هـ/١٢٣٥-١٢٨٢م) فقام لمورده واحتفل في مسيرته وقدومه وأركب الناس للقائه وأتاه ببيعته على عادته من سلفه لماعلم أنه على الحق ووعده النصرة والمؤازرة على أمره وأصهر إليه في إحدى بناته المقصورات في الخيام خاطباً إياها لابنه عثمان، فولاه الإسعاف بذلك[3] ولما أستولي السلطان على حضرته واستقر في ملكه وضبط أموره، بعث إليه يغمراسن ابنه إبراهيم المكنى بأبي عامر في وفد من قومه لإتمام ذلك فأكرمهم السلطان وأبرهم وأسعفهم بإجابة طلبهم[4] وذلك نتيجة لموقف السلطان يغمراسن معه ومساعدته إياه في نيل السلطان من ابن أخيه الواثق. وأقاموا بتونس أياماً ثم انصرفوا بعروسهم سنة (٦٨١هـ/

---

(١) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، م٦، ص٣٨٧، م٧، ص١٠٦-١٠٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، م٦، ص٣٨٧، م٧، ص١٠٧، راجع كذلك يحيى بن خلدون: بغية الرواد، م١، ص١١٦.

(٤) ابن المصدر السابق: م٦، ص٣٨٧، م٧، ص١٠٧.

١٢٨٢م) محبورين مجبورين[١] وابتنى بها عثمان لحين وصولها فكانت من عقائل قصورهم ومفاخر دولتهم وذكر لهم ولقومهم أخر الأيام[٢] وأنجبت لأبى سعيد عثمان الذي تولى السلطنة بعد أبيه سلطانيين زيانيين وهما أبو زيان محمد الذي تولى السلطنة في الفترة (٧٠٣-٧٠٧هـ/ ١٣٠٣-١٣٠٧م) وأبو حمو موسى الأول الذي تولى السلطنة في الفترة (٧٠٧-٧١٨هـ/ ١٣٠٧-١٣١٨م)[٣].

٤- مصاهرات سياسية بين الأمراء المتملكين وولاة الأقاليم ورجال الإدارة والقبائل العربية:-

لقد كان هؤلاء الرجال صورة مصغرة في سلوكهم السياسي لسادتهم من السلاطين والخلفاء في دول المغرب، ولذلك أراد كل منهم أن يحمى نفسه وسلطانه بمن يتخذهم عضداً لمساندته في ملمات الأمور وسوء الأحوال والظروف ولذلك اصطنعوا لهم رجالاً أو حالفوا أقرانهم وعملوا على ضمان ولائهم السياسي عن طريق مصاهراتهم ونذكر من هؤلاء أمراء بنى مزني[٤] أصحاب بسكرة والزاب الذين صاهروا

---

(١) ابن خلدون: المصدر السابق م٦، ص٣٨٧، م٧، ص١٠٧.

(٢) المصدر السابق: م٦، ص٣٨٧-٣٨٨، م٧، ص١٠٧.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق ، م٧، ص١١٣، برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصى، ج١، ص١١٥-١١٦.

(٤) بنو مزني: أسرة عربية تنسب إلى مزنة من الأثبج رغم ما أدعوه من نسبهم في فزارة وكان أول نزولهم من أقرانهم وعشائرهم من الأثبج الافارقة عند الفتح في قرية من قرى أقليم الزاب تعرف بحياس القريبة من بسكرة، ثم انتقلوا إلى بسكرة وخالطوا أهلها، ولما كثروا واغتنوا نافسوا في رياستها بنى رُمان من البربر وحسموا الأمر لأنفسهم في بسكرة بعد اتصالهم المباشر بالأسرة الحفصية

أكفاءهـم من بنى يملول[1] أصحاب توزر وما ذلك إلا لأنهم كانوا ردءاً لبعضهم البعض ضد أي خطر قادم إليهم من الشمال أو يداً واحدة في النكث والخروج عن الطاعة، كما أصهر منهم يوسف بن منصور بن مزني إلي يعقوب ابن زعيم الزواردة على بن أحمد إذ استضافه ابن مزني بعدما فارق إياه لمحاربته السلطان أبى الحسن المريني ودخل

وبعد صراعات عنيفة مع بنى رمان الذين استكانوا لهم في النهاية وارتضوا حكمهم ورياستهم لبسكرة، وما لبث أولئك أن توسعوا في إمارتهم حتى شملت الزاب وقبائله وتوارثوا هذه الإمارة مشكلين تاريخ بلاد الزاب في القرون المتأخرة من العصور الوسطى، عن هذه الأسرة أوليتها وتاريخها راجع ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٥١٠ وما بعدها.مصطفى أبو ضيف أحمد: المرجع السابق، ص١٣٣ وما بعدها.

(١) بنو يملول: أسرة عربية أخرى تنتمي إلى قبيلة تنوخ من عرب الفتح استقرت في توزر منذ البداية مع غيرهم من العرب وامتزجوا مع أهلها نسباً وصهراً، واشتهروا بأنهم أهل رأى ومشورة للأمراء والحكام حتى علا شأنهم مع الحفصيين واستطاع كبيرهم أحمد بن محمد يملول بعد لؤي ومشقة تولى مشيخة توزر بعد اختلال أمر الدولة الحفصية واستمرت في مشيخته حتى وفاته سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م وخلفه ابنه يحيى الذي نجح في القضاء على منافسيهم من مشايخ توزر، ولما توفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٢٣م خلفه أخوه محمد الذي توسع بسلطانهم خارج توزر بزعامة أولاد أبى الليل من عرب مرادس من سليم وقوى نفوذه حتى ناطح الدولة الحفصية التي اسندت إليه جباية الجريد وإمارتها وظل في ذلك حتى وفاته سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م تاركاً إمارة قوية ذات نفوذ وسلطان واسع، تشبه أمرائها بالملوك في الشارة والحجاب والآلة والمجالس الملوكية وفرض الضرائب وما إليه ،عن هذه الأسرة وبداياتها وتملكها توزر وبلاد الجريد راجع: ابن خلدون، المصدر السابق، ص٥١٩ وما بعدها. أبو ضيف أحمد: المرجع السابق، ص١٣٩-١٤١.

بسكرة على ابن مزني فأصهر إليه ابن مزني بأخته بنت منصور بن فضل وعقد له عليها فأنحاز يعقوب إليه ضد أبيه مما أضطر الأخير إلى المهادنة والإتفاق[١]. كما صاهر عبد الواحد بن منصور بن مزني محمد بن أبى الحسين بن سيد الناس صاحب ثغربجاية ويعقد له على ابنته بشرط المهادنه بينهما وتسليمه الجباية[٢] وكان يستأثر بها دائماً والى ثغر بجاية دون بنى مزني. وقد حذا حذوهم في هذا السبيل بنى يملول أصحاب توزر لذات التقرب إلى القبائل العربية والإستظهار بها على أمورهم والحفاظ على رياستهم فمن ذلك مثلا استظهار محمد بن أحمد بن يملول لما استبد بأمر توزر وعفا على مشيختها بمصناعة أمراء البدو أولاد أبى الليل والتقرب إليهم بصهر كان قد عقده أبوه أحمد لأبى الليل جدهم على أخته أو عمته[٣] ونجح الأمير محمد في مسعاه إذ كان له هؤلاء العرب أعوان مخلصين وجنود مطيعين في التوسع بالإمارة في بلاد الجريد وإجبار بنى حفص على إسناد إمارة الجريد وجبايتها إليه[٤].

أما بالنسبة لكبار رجال الدولة فإن مصاهراتهم في غالبها أتت للمصلحة والترقي في الإدارة والوصول إلى أعلى المناصب في الدولة أو حتى للاستبداد كما رأينا في حالة إصهار عمر بن عبد الله بن على الياباني إلى مسعود بن رحو بن ماساى والإصهار المستغل بين الوزير المستبد مسعود بن رحو بن ماساى والوزير العباس بن عمرو[٥]. ومن

---

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٥١٦.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٥١٥.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٥٢١.

(٤) المصدر السابق، ص٤١٥.

(٥) راجع ما سبق٧٩٢-٧٩٣من البحث .

هذا القبيل زواج أبو محمد عبد الله بن تافراجين إلى أبي يعقوب بن يزدوتن شيخ الدولة الحفصية في ابنته فعقد عليها[١] وأصهر من بعده أخوه أبو العباس أحمد إلى أبى محمد بن يغمور في ابنته كذلك فعقد له عليها[٢] عندئذ نوه بهم وارتقوا في المناصب حتى صار عبد الله منهما من كبار رجال الإدارة من الوزراء ثم صار حاجباً إلى درجة الاستبداد في الدولة[٣]. وكان كل من ينظر إلى العمل بالسياسة ويتعلق بها من الطموحين يلجأ إلى رجال الإدارة والحكم ويحاول الوصول من خلالهم إلى ما ينبغي ومن ذلك مثلاً في دولة الحفصيين ما فعلة محمد بن إبراهيم بن الدباغ الوافد والده على تونس من إشبيلية، إذ علق بوظيفة صغيرة في ديوان الحسبان ونقرب إلى المبرزين فيه أبى الحسن وأبى الحكم ابني مجاهد فأصهر إليهما في ابنة أبى الحسن، عندئذ رشحاه إلى الأمانة في ديوان الأعمال ثم صار بعد ذلك إلى الكتابة وترقى في المناصب حتى استكتبه السلطان أبى عصيدة (٦٩٤-١٢٩٤هـ/١٢٩٤-١٨٧٧م) ثم صار كاتب علامته وما لبث أن صار إلى حجابته واستقل بها[٤].

ولقد لعبت تلك المصاهرات بين رجال الإدارة دوراً كبيراً في السياسة وتغيير مجريات الأحداث السياسية من ذلك مثلاً المصاهرة التي كانت بين ابن أبى جبى كبير حجابه أبى البقاء خالد حاكم بجاية الحفصى وصاحب قسنطينة أبى الحسن على الهمذانى التابع لأبى البقاء كذلك، إذ

---

(١) المصدر السابق، ص٤٤٦.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٤٦.

(٣) وذلك في عهد السلطان أبى إسحاق بن أبى بكر راجع ابن خلدون: العبر، م٦، ص٤٦٢ وما بعدها.

(٤) راجع ابن خلدون: العبر، م٦، ص٤٠٠-٤٠١.

تآمر رجال دولته ضد أبن أبى جبى ولفقوا له تهمه الإتصال بصاحب تونس الحفصى غريم أبى البقاء وأنه سوف يمكنه من بجابة وقسنطينة خاصة وأن عامل قسنطينة صهر لابن أبى حبي دور المعين من قبلة أيضاً عندئذ أقصى أبو البقاء كبير حجابه عن البلاط وسمح له بالحج[١] فكان من نتائج ذلك أن صهره عامل قسنطينة قام برد فعل حاد لخوفه أن يقع التنكيل به من جانب أبى البقاء وإقصائه عن قسنطينة[٢] خاصة وأن الوشاة ربطوا بين الصهر القائم بينه وبين ابن أبى جبي وتسليم ابن أبى جبي قسنطينة المتولي هوعليها لأبى عصيدة صاحب تونس، عندئذ بادر الهمذاني بخلع طاعة أبى البقاء خالد وإعلان تبعيته بصورة رسمية لأبى عصيدة صاحب تونس[٣]، عندئذ اغتاظ أبو البقاء وخرج بجيشه لاسترجاع قسنطينة إلى حوزته وتم ذلك بسبب خيانة ابن موزة أبى الحسن بن عثمان من مشيخة الموحدين للهمذاني وأسر الهمذاني وجرس به أبو البقاء ثم قتله[٤].

ومن ذلك أيضاً مصاهرة والى الجزائر في عهد السلطان أبى زكريا الأوسط الحفصى (٦٨٣-٦٩٩هـ/١٢٨٤-١٢٩٤م) مالك الثغور العربية من بجاية وقسنطينة من الدول الحفصية والمعروف بابن

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، م٦، ص٤٠٥-٤٠٦.

(٢)ابن خلدون: المصدر السابق: ص٤٠٦.

(٣) المصدر السابق: ص٤٠٨.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٠٨-٤٠٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٥٧-١٥٨.

اكماز أو أكمازير[١] وهو من مشيخة الموحدين الذي صاهر كبير رجالة المعروف بابن علان[٢] والذي خدمه بإخلاص طوال حياته ولكن استغل وفاة صهره وانشغال أبو زكريا في محاربة المرينيين فاستبد بالجزائر وظل في هذا الاستبداد والظروف تواتيه وتساعده إلى أن ذهبت هذه الولاية إلى بنى عبد الواد[٣]، حتى القبائل العربية تصاهرت هي الأخرى فيما بينها لأهداف سياسية فيذكر ابن خلدون[٤] عن بنى سويد من زغبة العربية كانوا حلفاء لبنى عبد الواد فترة طويلة من الزمن، ولما حدثت فتنة بينهم وبين يغمراسن الزيانى وارتحلوا من جوار تلمسان إلى التلول والأرياف من بلاد بنى عبد الواد إلى القفر المحازى لأوطان بنى توجين البربر وذلك على المهادنة والمصاهرة بينهما فصاروا أي بنى توجين حلفاء لهم على بنى عبد الواد. وهكذا سار رجال الحكم والإدارة على منوال سادتهم وتصاهروا مع رجالهم لأهداف سياسية بحتة، الغرض منها

---

(١) هو من مشيخة الموحدين بالجزائر وهو الذي بادر بالدخول في طاعة أبى زكريا الأوسط بعد اجتماعه مع مشيخة الجزائر راجع ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٠٤.

(٢) هو أيضاً من مشيخة الجزائر وأختص بخدمة ابن اكمازير ولما هلك صهره وسيده استبد وانتزي بالجزائر بعد أن أهلك أهل الشوكة من نظراته خشية منافسته ونادى بالاستبداد واتخذ الآله وركب في الموكب وكون جيشاً من الغرباء والثعالبة من عرب متيحه واستكثر من الرماة والرجال بل وحارب عسكر بجاية كثيراً، وظل محافظا على ولايته من الحفصيين وبنى مرين حتى استنزله على شروط منه راجع ابن خلدون: المصدر السابق، م٧، ص١١٩-١٢٠.

(٣) ابن خلدون: العبر، م٦، ص٤٠٤.

(٤) ابن خلدون: العبر، م٦، ص٥٥-٥٦.

التسلطن والتحكم ولا ترمى إلى أهداف اجتماعية إلا في القليل النادر ولذا في الغالب كان نفعها وقتيا لا يدوم طويلاً للطرفين معاً.

الخاتمة

مما سبق يتضح شيوع المصاهرات السياسية في المغرب الإسلامي خلال عصري الموحدين وورثتهم بالمقارنة بالفترات التاريخية الأخرى في المغرب الإسلامي وكان لذلك آمالاً متعددة وأسباباً كثيرة ضمن محاولات الأسر الحاكمة تقوية نفسها داخلياً وتوسيع مجالات سلطانها على حساب جيرانها من خلال هذه المصاهرات أو استخدام هذه المصاهرات السياسية لتسكين الأحوال في المناطق المفتوحة ومن الدراسة يتضح بالنسبة لما كان من مصاهرات قبل العصر الموحدى ومن واقع أربعة عشر زيجة معدودة تمت بين الأسر الحاكمة وبعضها البعض وبين الأسر الحاكمة ورجال دولتهم وبين أفراد الأسرات الحاكمة نجح منها في تحقيق الأهداف المرجوه منها تسع مصاهرات وفشلت الخمس الأخرى في تحقيق آية أهداف بل أثارت العديد من المشاكل بين المتصاهرين نتيجة للطموح السياسي الزائد لإحدى طرفي الأصهار مثل مصاهرة أبو بكر بن أفلح الرستمى مع وزيره محمد بن عرفة الذي أراد الاستبداد وبانت لذلك مظاهر كثيرة مما أدى إلى قتله فلم يحقق أبو بكر ما تمناه من خلال المصاهرة، أو زواج يحيى بن يحيى المسوفى من إحدى بنات على يوسف وذلك بغرض تماسك البيت المرابطى ولكن هذا الرجل لم يراع ذلك بل وانضم إلى دعوة الموحدين.

أما بالنسبة للموحدين والزواج بين أفراد البيت الموحدى، فقد حقق أهدافه في الاستقرار العائلي ولكن في فترات القوة في عصر تلك

الدولة فالمصاهرات الأربع المرصودة نجحت جميعها في تحقيق التقارب بين أفراد البيت الموحدى ولم نرى لها آفات سياسية ملحوظة في المصادر.

أما مصاهرات الموحدين مع الأسر الحاكمة قبلهم في المغرب والأندلس فقد نجحت نجاحاً كبيراً في تحقيق أهدافها وذلك نتيجة لقوة الدولة وفتوتها في بداية النشأة فاستوعبت الدولة هذه الأسر واستألفت قلوبها وضمنت عدم ثورتها مثل أسرة بنى زيري الصنهاجية بأفريقية ممثلة في شخص الحسن بن على بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وأسرة بنى مردنيش في الأندلس.

ومن واقع ثلاثة عشرة زيجة معدودة تمت بين أسرة بنى عبد المؤمن وبين رجال الدول وكبار المشايخ كان منها ست مصاهرات لصالح الموحدين وتحقيق مصالحهم السياسية من استخدام أولئك الرجال وتلك القبائل في صالح الدولة الموحدية أما السبع الأخريات فكانت في صالح رجال الدولة ومشايخ القبائل الذين استغلوا تلك المصاهرات في تحقيق أمجاد وأغراض سياسية ولم ينتفع منهم الموحدون بشيء بل على العكس كانوا عليهم وقت الأزمات السياسية وخاصة في عصر الاضطراب في الدولة والمثل الأوضح في ذلك حالة المرتضى الموحدى مع أصهاره المتعددين أي أن تحقيق الموحدين الأهداف السياسية من وراء هذه الزيجات قد فشل فشلاً ذريعاً ونجح الطرف الآخر في تحقيق أهدافه من وراء هذه المصاهرات.

أما في عصر ورثة الموحدين فمن واقع مصاهرات ست تمت بين الأسر الحاكمة من بنى حفص وبنى مرين وبين البربر رجالاً وقبائل

واثنتي عشرة زيجة بين بنى حفص وبنى مرين وبنى زيان من ناحية وبين العرب أفراد وقبائل من ناحية أخرى أي ثمان عشرة حققت منها ست عشرة زيجة أهدافها السياسية لطرفي الأصهار من الأسر الحاكمة من بنى عبد الواد وبنى مرين إذ استطاعت هذه الأسر التعايش من خلال هذه المصاهرات مع القبائل البربرية والعربية فضلاً عن استخدام أفرادها في الجهاز الإداري والعسكري خاصة بنى مرين بالإضافة إلى حفظ الاستقرار الداخلي في الدولة.

أما البقية الباقية من هذه المصاهرات وهما زيجتان فلم تكونا أبداً في صالح الأسر الحاكمة وصارت بفوائدها السياسية كلها لصالح الطرف الآخر من رجال الحكم والإدارة في الدولة مثل بنو تافراجين البربر مع الحفصيين وعامر بن محمد الهنتاتى البربري مع بنى مرين، ولكن يلاحظ أن هاتين المصاهرتين كانتا في عصور الضعف بالنسبة للدولتين الحفصية والمرينية.

أما عن المصاهرات السياسية بين الأسر الحاكمة في المغرب فمن واقع أربع زيجات تمت خلال هذه الفترة منها اثنتان بين بنى مرين وبنى حفص واثنتان بين بنى حفص وبنى زيان، قد نجحت الاثنتان بين المرينيين والحفصيين في تحقيق الأهداف السياسية المرجوه من ورائها ولكن كما رأينا كان نجاحها مؤقتاً ارتبط بالمتصاهرين وعصرهما فقط وهما أبى الحسن المريني وأبى بكر أبى يحيى الحفصى فإذا كان الحفصى قد استطاع حماية دولته من بنى زيان المتربصين بها في حياته، فإن أبا الحسن المريني استطاع الاستيلاء على دولة بنى حفص وضمها للدولة المرينية ولكن بوفاته عادت الأمور مرة أخرى مع بنى حفص إلا

أنه فشل ومع ذلك استطاع أن يدخل تونس ويدعو لـه لفتـرة قـصيرة استمرت شهرين إلا أن هذه الوجود لم يكن مدعماً بمصاهرة سياسـية كما كان الحال في عهد والده.

أما الزيجتان بين بنى حفص وبنى عبد الواد لم تؤد أي منها نتائج ملموسة لصالح الطرفين سوى المعايشة السلمية في عهـد المتـصاهرين وتحقيق بعض المنافع السياسية فالمصاهرة الأولى تاريخياً والتي كانـت بين أبى إسحاق إبراهيم الأول الحفصى ويغمراسن بن زيان حققت السلم المؤقت بين الدولتين لفترة طويلة نسبياً.

والثانية بين حاكم بجاية الحفصى أبي عبد الله محمد وأبى حمـو موسى الثاني الزياني تحقق عنها استيلاء الزيانيين على بعض المنـاطق مثل تدلس ولكن بعد وفاة حاكم بجاية استعاد الحفصيون هـذه الأمـاكن وعاد العداء بين الدولتين.

أخيراً .. وجدنا مصاهرات بين رجال الحكـم والإدارة وكـذلك رجال البيوتات الكبرى من الأمراء من غير الأسر الحاكمـة والقبائـل العربية بلغت اثنتاعشرة مصاهرة معدودة ابتغى فيها المتصاهرون تحقيق أهداف سياسية وتحقيق أمجاد شخصية بمساعدة أصهارهم وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد كما رأينا من إقامة التحالفات السياسية الناجحـة كمـا حدث بين بنى يملول حكام توزر وبنى مزني حكام بسكرة فـي الـزاب وقبيلة بنى سويد العربية مع بنى توجين البربر ضـد بنـى زيـان، أو استغلال هذه المصاهرات في الاستبداد السياسي كما هـو الحـال فـي المصاهرة بين عمر بن عبد الله بن على ومسعود بن رحو بـن ماسـاى ومصاهرة ابن علان مع ابن اكمازير حاكم الجزائر.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

-ابن الأبار(أبوعبد الله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) :كتاب الحلة السيراء ،جزءان ،تحقيق حسين مؤنس ،دار المعارف القاهرة١٩٨٥م ط٢،ذخائر العرب ٥٨.

-ابن أبي دينار(أبوعبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار ت١١١٠هـ/١٦٩٨م) :المؤنس في أخبار أفريقيا وتوتس ،تحقيق محمد الشمام ،المكتبة العتيقة ،تونس١٣٨٧هـ ط ٣،من تراثنا الإسلامي ٣.

-ابن أبي زرع (أبو الحسن على بن عبد الله كان حياً ٧٢٦هـ /١٣٣٥م) :الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،تحقيق ومراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م، الطبعة الثانية .

-.....: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة،الرباط سنة ١٩٧٢ م.

-ابن الأثير(أبو الحسن علي بن محمدبن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م.) :الكامل في التاريخ، أجزاء تحقيق محمد يوسف الدقاق،دار الكتب العلمية بيروت١٩٩٥ ط ٢.

- ابن الأحمر(أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر ت٨١٠هـ/١٤٠٧م) :النفحة النسرينية واللمحة المرينية ،تحقيق عدنان محمد آل طعمة ،دار سعد الدين دمشق ١٩٩٢.

- .....:روضة النسرين في دولة بني مرين ،تحقيق جورج مارسيل ،باريس ١٩١٧. - البكري (أبوعبيد الله عبد الله بن عبد الغزيزبن محمد بن أيوبين مصعب البكري ت٤٧٨هـ/١٠٩٤م): المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون

- البيذق(أبو بكربن علي الصنهاجي ألف كتابه في منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشرالميلادي):أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط ١٩٧١م.

-.....:المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ،تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط ١٩٧١م .

- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني ت٧١٧هـ/١٩١٧م):

رحلة التجاني قام بها في البلاد التونسية والقطر الطرابلس ، تحقيق حسن حسني عبد ا لوهاب ، المطبعة الرسمية تونس ١٩٥٨م.

- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي ت١٦٩هـ-١٠٧٦م):المقتبس (قطعة خاصة تشتمل على عهد الناصر لدين الله) تحقيق ب. شالميتا ف. كورينطى وم . صبح، المعهد الأسباني العربي للثقافة، كلية الآداب، مدريد، سنة ١٩٧٩م.

- ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد بنعبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) :كتاب إعمال الاعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ اسبانيا الإسلامية تحقيق ليفي بروفنسال ،دار المكشةدةدوف بيرونـدت ١٩٥٦م.

- .....:الإحاطة في أخبارغرناطة،مجلدات ،تحقيق محمد عبدالله عنان ،طبع الثاني بالقاهرة سنة١٩٧٤م،الثالث١٩٧٥،والرابع ١٩٩٧م .

-.....:نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادى ومراجعة عبد العزيز الإهواني، دار الكاتب العربي، القاهرة، بدون.

-.....نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج٣، تحقيق السعدية فاغيه، الرباط، سنة ١٩٨٩م، ط١

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الحضر ت ٨٠٦هـ م ١٤٠٦م) : كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، أجزاء طبعة دار الكتب

العلمية بيروت سنة ١٩٩٢م .
-٠٠٠٠٠:المقدمة ،ج٢،تحقيق علي عبد الواحد وافي ،سلسلة التراث ،مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠٦ م
- الزركشي (ابو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي كان حيا سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م):تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،تحقيق محمد ماضور ،من سلسلة تراثنا ،المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٦٦.
-ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسي بن عبد الملك ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) .
: كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان فرنيط خينيس،معهد مولاي الحسن ،تطوان ١٩٥٨.
- ابن الشماع(أبوعبد الله محمد بن أحمد بن الشماع،ألف كتابه٨٦١هـ/١٤٥٧م): الأدلة البينة النورلنية في مفاخر الدولة الحفصية ،تحقيق الطاهر بن محمد المعموري ،الدار العربية للكتاب١٩٨٤م.
-ابن صاحب الصلاة(عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م):المن بالأمامة أو تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٧.
-ابن الصغير(المالكي عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) : أخبارالأئمة الرستمين ،تحقيق د/حسن علي حسن ،القاهرة سنة ١٩٨٤ .
-ابن عذارى(أبو عبد الله محمد بن عذاري المراكشي ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م)
: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ح١،تحقيق س كولان، ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٨٣ ، ح٣ تحقيق ليفي بروفنسال دار الثقافة بيروت بدون ، ح٤ (قطعة من تاريخ المرابطين تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٧م، قسم الموحدين تحقيق محمد أبراهيم الكتاني وآخرون ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،الدار البيضاء ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م الطبعة الأولى .
-العمري(شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ت ٧٤٩هـ/١٩٤٨م) :

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الأول ،تحقيق عبد الله بن يحيي السريحي ،المجمع الثقافي ، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ،السفر الرابع،تحقيق د/حمزة أحمد عباسي أبو ظبي الإمارات ٢٠٠٢

-ابن القطان(أبومحمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الكتامي المعروف بابن القطان عاش في عصر المرتضى الموحدي٦٤٦-٦٦٨هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م) :نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ،تحقيق محمود علي مكي ،دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٠م

-ابن القنفذ(أبو العباس أحمدبن حسن بن علي بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني ت٨١٠هـ/١٤٠٧م) :الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ،تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ،الدار التونسية ١٩٦٨م ،نفائس المخطوطات .

-القلقشندي(الشيخ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١ هـ/١٤١٨م) :صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،الجزء الخامس ،الذخائر ١٣٤، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة يناير ٢٠٠٥م ،الجزء السابع الذخائر ١٣٦.

- مجهول- :الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تحقيق س.علوش ، مطبوعات معهد العلوم العليا رباط الفتح ١٩٣٦م .

- المراكشي(محيي الدين أبو محمد عبد الواحد بن على المراكشي ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " تحقيق محمد زينهم عزب ، القاهرة سنة ١٩٩٤ .

- ابن مرزوق (محمد بن أحمد بن محمدبن محمد بن أبي بكر بن مرزوق المعروف بابن مرزوق الخطيب ت٧٨١هـ/١٣٧٩م): المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ،تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ترجمة محمود بو عياد ،الجزائر ١٩٨١م

- المقري (أحمد بن المقري التلمساني ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب مجلدات تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت سنة ١٩٩٧م

-النباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى ت ٧٩٣هـ/١٣٣٩م): كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة

إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة ١٩٨٣م
- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري٧٣٣/١٣٣٢م) :نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٢٤تحقيق حسين نصار مراجعة عبد العزيز الأهـواني، المجلـس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م
-يحي بن خلدون(أبو زكريا يحي بن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بـن خلدون ت٧٨٠هـ/١٣٧٩م) :كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبـد الـواد ،مجلدان تحقيق ألفريد بل ،المجلد الأول الجزائر١٩٠٣ ،الثاني١٩٠٠م

ثانيا :المراجع:-

- أحمد مختار العبادي(دكتور) :دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية بدون .

- برنشفيك (روبار) :- تاريخ أفريقية فى العهد الحفصى من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر ، جزءان نقله إلى العربية حمادى الساحلى ، دار الغـرب الإسلامى ، بيروت سنة ١٩٨٨ط١.

- حسن أحمد محمود(دكتور): قيام دولة المرابطين، صفحة مـشرقة مـن تـاريخ المغرب في العصور الوسطى دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٩٩٩، ط٢
- حسن حسني عبد الوهاب:ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية،القـسم الثالث مكتبة المنار تونس ١٩٧٢م .
- حسن علي حسن(دكتور) :الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس"عصر المـرابين والموحدين ،مكتبة الخانجي القاهرة١٩٨٠م .
- أحمد بن خالد الناصري السلاوي ت ١٨٩٧م : الأستقصا لأخبار المغرب الأقصى ،تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري ،الدار البيضاء سنة ١٩٩٧ م،الأولى.
-كحلاوي غازي أحمد :الأثر السياسي و الحضاري لنفوذ الوزراء في العصر المـريني الثاني"٧٥٩-٨٦٩هـ-١٣٥٧-١٤٦٥م ،ماجستير ،قسم التاريخ -كلية الآداب -جامعة المنيا ٢٠٠٦م
-كمال السسد أبو مصطفى(دكتـور):درايـات فـب تـاريخ وحـضارة المغـر

والأندلس،مركز الأسكندرية للكتاب ،بدون .

– مصطفى أبو ضيف أحمد (دكتور) :أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلل عصري الموحدين وبني مرين ٥٢٤-٨٧٦هـ/١١٣٠-١٤٧٢م الدار البيضاء١٩٨٢ ط١.

–العباس بن ابراهيم السملالي قاضي مراكش:الإعلام عمن حل مراكش واغمات من الأعلام ،تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ،المطبعة الملكية الرباط ١٩٧٦-١٩٩٧م .

– عبد القادر عثمان جاد الرب :لماذا قرر الموحدون التوجه نحو إفريقية؟" الموحدون وإفريقية،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية "بحوث" العدد الأول جامعة الحسن الثاني ،المحمدية ١٩٩٩م.

– الشيخ عبد الله الباروني: كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ق٢، مطبعة الأزهار البارونية، بدون،

–علي حامد الماحي (دكتور):المغرب في عصرالسلطان أبي عنان المريني ،بحوث جامعية المغرب ١٩٨٦م.

– محمد العروسي المطوي(دكتور) :السلطنة الحفصية تاريخها السيلسي ودورها في المغرب الإسلامي،بيروت ١٩٨٦م.

– محمد زنيبر(دكتور) :– المغرب فى العصر الوسيط الدولة – المدينة الاقتصاد ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط . سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٤.

– محمد شقرون: البيئة الغربية ومظاهرها الثقافية في عصر بنى مرين، مجلة دعوة الحق، العدد ٨ السنة ١٠.

– محمد عادل عبد العزيزابراهيم: الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين ٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م ماجستير معهد الدراسات الإفريقية،جامعة القاهرة ١٩٨٣م.

– محمد عيسى الحريرى (دكتور) : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامى ، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس ١٦٠ هـ-٢٩٦هـ دار القلم الكويت سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

-.....:تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني ،دار القلم الكويت ١٩٨٧م ط٣ .

- **محمد فتحة (دكتور)** :-: النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث فى تاريخ الغرب الإسلامى من القرن ٦ إلى ٩ هـ /١٢-١٥م منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء سلسلة الأطروحات والرسائل، الدار البيضاء سنة ١٩٩٩م.

- **محمد محمد عبد القادر(دكتور)**:- : دويلة بنى مدرار ١٤٠-٢٩٦ هـ/٧٥٧-٩٠٨م القاهرة سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- **محمود عبد الرازق إسماعيل (دكتور)**:-: الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى - القاهرة سنة ١٩٨٦ط٢.

-D.Francisco Codera :Decadencia y Desaparicion de los Almoravides en Espana,Zaragoza,1899.